د. جاكي فيلدمان (*)

في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة: الوفود الشبابية الإسرائيلية إلى بولندا والهوية القومية[1]

مدخل

ثمة مجتمعات مختلفة تتذكر المحرقة النازية بأشكال مختلفة. وقد أحسن في التعبير عن ذلك القيم الرئيسي السابق لهيئة "ياد فشيم" ("هيئة تخليد ذكرى الكارثة والبطولة") والذي كتب قائلا: "في نظر الألمان.. فإن السؤال الأكبر هو... كيف أمكن لهذه الأمور أن تحدث؟. وفي نظر اليهود.. كان السؤال بالذات: كيف أمكن لهذه الأمور أن تحدث لنا؟".

الحجم الضخم للموت اليهودي والعدد الكبير للناجين وأقاربهم الذين يعيشون في دولة إسرائيل، وكذلك تقارب المواعيد بين قيام الدولة ووقوع المحرقة، كل ذلك حوّل ذكرى المحرقة إلى مكون مركزي في الهوية الإسرائيلية. ووفقا لـ إليعازار فيستوم وروت ملكينسون فإن "المحرقة تتجلى كصدمة نفسية أساسية. ذكرى فرن الصهر الذي أبيد فيه ثلث أبناء الشعب اليهودي، تتسلل إلى كل شيء. فأي تهديد، حقيقيا كان أم وهميا، يتعاظم ويرتدي أشكالا جديدة كما لو كان واقعاً تحت تأثير هذه الذكرى/ الصدمة. لقد تركت المحرقة أثراً على النفس القومية لا يمكن أن يزول" (فيستوم وملكينسون ٢٣٦، ١٩٩٣).

تعاظم في العقدين الأخيرين، دور المحرقة في الذاكرة الجماعية وفي ما أدعوه بـ "الدين المدني" لإسرائيل. فقد أضحت جزءا من سفر التخليد الأساس الذي يصوغ طريقة تفكير الإسرائيليين وسلوكهم في الأوضاع والظروف المختلفة (zerulard 1995). ويعزز استمرار حالة الحرب مع الفلسطينيين ومع عدد من الدول المجاورة لإسرائيل، شعور الإسرائيليين بالعزلة ويمحور السؤال "لماذا حدث ذلك لنا؟" في مركز الذاكرة اليهودية- الإسرائيلية المتعلقة بالمحرقة.

* أستاذ في جامعة "بن غوريون" في بئر السبع. المقال مترجم عن العبرية.

سأحاول في هذا المقال الوقوف على طابع ذاكرة المحرقة اليهودية- الإسرائيلية في الحاضر عن طريق تحليل أحد تجلياتها الشائعة في أيامنا : الزيارات التي يقوم بها أبناء الشبيبة الإسرائيليون إلى بولندا . ويتلخص طرحي في هذا السياق في أنه لا يجوز النظر إلى هذه الرحلات أو الزيارات كما لو كانت "جولة دراسية" ، وإنما كحجيج يشكل تعبيرا عن الدين المدني . الهدف الأعلى لرحلة بولندا هو تكريس قدسية الدولة في تجربة المحرقة . فهذه الرحلة تصوغ صورة الذاكرة الإسرائيلية للمحرقة والماضي اليهودي، وكذلك وعي التلميذ اليافع إزاء توقعات المجتمع منه . التشكيل أو البناء الواعي وغير الواعي لتجربة بولندا من المفترض به أن يغير التلاميذ ليحولهم من أطفال إلى ضحايا وناجين مخلدين وفي الأخير إلى شهود للشهود، يقع عليهم واجب رواية وعرض ما شاهدوه وعرفوه في بولندا والذود عن دولة إسرائيل المطروحة كرد حاسم على المحرقة .

وسوف أبين كيف "تعمل" هذه الرحلة، بواسطة تحليل الأدوات الرئيسة التي تصوغ تجربة التلاميذ : ترتيبات الأمن المقيدة، هندسة المكان - الحيز- والزمان الشاملين، هندسة وبناء السياق الذي يدلي فيها الناجون بشهادتهم، والطقوس أو المراسم التي تجري بالأساس في معسكرات الموت .

سأشير في نهاية المقال إلى عدد من وجهات النظر المتعلقة بالمحرقة والتي يتم إقصاؤها أو تهميشها أثناء الرحلة، وسأناقش باختصار موقع هذه الرحلة (إلى بولندا) في حيز الذاكرة العامة .

مراسم التخليد والذاكرة الجماعية اليهودية- الإسرائيلية

تعتبر مراسم التخليد وسيلة مهمة في نقل الذاكرة الجماعية من جيل إلى جيل . فهذه الطقوس تستحضر صورا ماضوية تعطي شرعية للنظام الاجتماعي القائم (Kapfener 1988,Connerton 1992) .

تقنع المراسم، التي تعطي شحنة عاطفية للرموز القومية، المشاركين فيها والمشاهدين لها بالنظر إلى مقولات رمزية من قبيل "الأمة" أو "الدولة" ككيانات طبيعية وكجزء من بديهيات العالم، وليس كأشياء من صنع الإنسان (kertzer 1988,4) . والطقوس لا تنعش آراء قائمة وحسب، بل وفي مقدورها أيضا أن تخلق تضامنا، وأن تعين حدود المجموعة بالنسبة للخارج . وكما أوضح ذلك دوركهايم "عن طريق إطلاق نفس الصرخة، وترديد نفس الكلمة أو القيام بنفس الحركة الجسمانية حيال شيء أو شخص معين، يصير الناس يشعرون بأنهم وحدة واحدة" (Durkheim مقتبس لدى kertzer 1988,62) .

كانت عملية (طقوس) "التذكر" ، وهي "العملية التي يتذكر بواسطتها النشطاء اليهود الأحداث الإنسانية المهمة في تاريخ الطائفة- المجموعة - والتي يستحضرونها في حياتهم في الحاضر" ، تشكل دائما "عاملا حاسما في صوغ وتشكيل الذاكرة اليهودية المشتركة" (Connerton 1992,46) . وتشكل المشاركة في الذاكرة الجماعية اليهودية، تاريخيا، عامل توحيد أقوى من التصريحات المشتركة عن مبادئ عقيدة . ويتجلى الوعي بالمصير المشترك في التماثل مع أسرة موسعة، وهو ما يعبر عن نفسه في أعمال التذكر والاستحضار من قبيل طقوس عيد الفصح (yerushalmi 1882,14,40-44) .

اختلق الزعماء والنخب، في الكثير من الدول القومية، أساطير مؤسسة تجذر الهوية القومية في الموت والهلاك . وتدخل هذه الأساطير حماسا دينيا إلى الولاءات القومية (Kertzer 1988; Kapferer 1988 Mosse 1990;) . وقد استطاعت دولة إسرائيل تبني نماذج أسطورية يهودية قائمة، في سبيل هذا الغرض : مثل الخروج من مصر والانتقال من "الخراب إلى الخلاص" . وترسخ الأحداث التاريخية في الذاكرة الجماعية اليهودية إذا كان بالإمكان فهمها كنموذج انتقال من العبودية إلى الحرية، أو من الخراب إلى الخلاص . وقد استخدمت إسرائيل على نطاق واسع، لا سيما منذ حرب "الأيام الستة" (حزيران ١٩٦٧)، نماذج ذاكرة يهودية تقليدية ورموز دينية بغية حشد وتكتيل الأفراد اليهود حول أهداف قومية (Liebman and Don-Yehiya 1983) .

وكجزء من هذا التوجه قورنت المحرقة بالخراب (خراب الهيكل) وقورنت إقامة الدولة (إسرائيل) بالخلاص .

عرض موجز لذاكرة المحرقة في إسرائيل[٢]

حاول اليهود "الصابرا" ، في السنوات السابقة لإقامة دولة إسرائيل، وفي السنوات الأولى لقيامها، النأي بأنفسهم عن الناجين من المحرقة، بل ووصفوهم في بعض الأحيان بالجبناء الذين يرمزون إلى الماضي المنفوي، وصوروهم كنقيض لجنود الحاضر الطلائعيين (سيغف ١٩٩١، ألموغ ١٩٩٧، ١٣٧-١٤٧) . هذا التوجه نبع من الفجوة الضخمة بين تجارب ومشاعر وحساسيات "اليشوف"

لم تضعف تأثيرات المحرقة على العقلية الإسرائيلية بمرور السنوات. على العكس، فقد أشار مراقبون كثيرون إلى أنه كلما ازداد الابتعاد زمنيا عن حدث المحرقة، تعاظم حضور المحرقة في الذاكرة الجماعية الإسرائيلية. ففي استطلاع أجري بين الطلبة في أواخر الثمانينيات، اعتبرت المحرقة حدثا تاريخيا أثر بصورة عميقة جداً على حياتهم، حتى أكثر من إقامة دولة إسرائيل (أورون ١٩٩٣، ١٠٨-١١٣). وتجند المحرقة لتبرير مواقف سياسية، ولا سيما من قبل اليمين الإسرائيلي (تسوكرمان ١٩٩٣) ولإعطاء أهمية غير قابلة للشك أو الجدل، لضرورة التضحية الذاتية من أجل الوطن.

(مجتمع الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل قيام إسرائيل) وبين الناجين والفارين من المحرقة النازية في أوروبا، وقد كان هذا التوجه مسبوغاً بدرجة من الإحساس بالذنب من جانب قسم من أفراد مجتمع "اليشوف" إزاء كونهم لم يعملوا ولم يبذلوا جهداً أكبر من أجل إنقاذ يهود أوروبا (يبلونكا ١٩٩٤، ٥٩- ٧٠). فضلا عن ذلك، في وضع تدور فيه رحى حرب وجودية، لم يكن معظم (المستوطنين) القدماء مستعدين للتحدث عما مروا به[٣] (المصدر السابق ٥٩-٦١؛ تسمرات ويبلونكا ١٩٩٧، ٤٩-٥٦). غير أن الشعور العميق بالعزلة والغدر (عقب موقف أمم وشعوب العالم) الذي رافق فترة الانتظار قبل حرب "الأيام الستة"، والذي تعاظم أكثر في حرب "يوم الغفران" (تشرين الأول ١٩٧٣)، أدى إلى حصول تغيير في موقف الإسرائيليين من المحرقة. فالملايين الستة لم يعودوا "مجرد قطيع سيق إلى الذبح" بل تحولوا إلى قديسين قتلوا في سبيل الله. وفق النظرية الصهيونية الجديدة، فإن الانفصال عن المنفى ظل قائما على حاله، لكن القوى التي أدت إلى هلاك المنفى ما زالت قائمة- حسب هذه الرؤية- وذلك في صورة الأعداء الحاليين لدولة إسرائيل. هذا التوجه أو الفهم رسخ أكثر عقب صعود مناحيم بيغن إلى سدة الحكم في العام ١٩٧٧. وطبقا لهذا الفهم فان اليهود هم "شعب يعيش بمفرده". ويشكل خراب المنفى أثناء المحرقة دليلا قاطعا على الضعف الخطر للشعب اليهودي خارج وطنه، وعلى عدم اكتراث العالم به أبداً (سيغف ١٩٩١، ٣٩٥-٤٦٨).

وتطرح دولة إسرائيل القوية باعتبارها الرد والنقيض للمحرقة، كما صرح إيهود باراك أثناء زيارته لأوشفيتس حين كان رئيسا لهيئة الأركان العامة: "إن الذاكرة والحرية والقوة هي الرد على اوشفيتس. إن قوة جيش الدفاع الإسرائيلي هي الضمانة الحية لنفاذ قسمنا: أوشفيتس لن يتكرر أبداً" (كسبي ١٩٩٢-٢٠-٢٥).

لم تضعف تأثيرات المحرقة على العقلية الإسرائيلية بمرور السنوات. على العكس، فقد أشار مراقبون كثيرون إلى أنه كلما ازداد الابتعاد زمنيا عن حدث المحرقة، تعاظم حضور المحرقة في الذاكرة الجماعية الإسرائيلية. ففي استطلاع أجري بين الطلبة في أواخر الثمانينيات، اعتبرت المحرقة حدثا تاريخيا أثر بصورة عميقة جداً على حياتهم، حتى أكثر من إقامة دولة إسرائيل (أورون ١٩٩٣، ١٠٨-١١٣). وتجند المحرقة لتبرير مواقف سياسية، ولا سيما من قبل اليمين الإسرائيلي (تسوكرمان ١٩٩٣) ولإعطاء أهمية غير قابلة للشك أو الجدل، لضرورة التضحية الذاتية من أجل الوطن.

تجد هذه المفاهيم حول المحرقة تعبيرا لها في أجندة الاحتفالات والمراسم الإسرائيلية، وفي وصف وتصوير أماكن الذكرى وبنية ورموز مراسم إحياء الذكرى- ذكرى المحرقة (Young 1993; Handelman 1990; Handelman and Shamgar-Handelman 1997؛ بات إيل وبن عاموس ١٩٩٩). صحيح أنه وجهت انتقادات شديدة لهذا الفهم، خاصة في محافل المثقفين اليساريين والأدب والمسرح، لكن هذا الخطاب (التقليدي) لم ينفذ إلى ثقافة التخليد، بل أقصي إلى هامش العملية التربوية التي تطرح فيها السيادة والقوة الإسرائيليتين كرد على معسكرات الإبادة.

انحصر تحليل ذاكرة المحرقة في المجتمع الإسرائيلي غالباً في القصة- السرد- وخاصة في النصوص المكتوبة وفي الخطب السياسية. غير أن القناة الرئيسة لنقل الذاكرة إلى معظم أبناء الشبيبة ليست قصص وحكايات أجدادهم (وغالبيتهم من غير الناجين من المحرقة) وإنما معارف تنقل بواسطة التعليم في المدرسة وبواسطة مراسم وطقوس مدرسية ورسمية. اللقاء الأول لمعظم الأطفال، في مرحلة المدرسة الابتدائية، مع المحرقة يتم عبر الصافرة التي تطلق في "يوم المحرقة". وكما يقول جيمس يانغ: "تلفنا الصافرة طوال دقيقتين بصوت يجمع الجميع في حيز واحد من الزمان ويحول الأرض التي نقف عليها إلى حيز ذاكرة عامة" (young

يصف إعلان النوايا هذا الرحلة كجزء لا يتجزأ من عملية تربوية- تعليمية تشمل أيضا التحضيرات للرحلة وعمليات متابعة بعدها، ويحاول المحافظة على توازن بين الميول المختلفة: تعلم فكري ("على فهم المبادئ") واستخدام الحواس والمشاعر ("الإحساس ومحاولة فهم")؛ ذكرى الضحايا الذين قضوا نحبهم إلى جانب أولئك الذين "قاوموا العدو"؛ الحياة اليهودية إلى جانب الموت في المحرقة؛ الوجود (اليهودي) حاضرا في البلاد؛ كراهية مرتكبي المحرقة ("عمق وحشية النازيين") إلى جانب نظرة متكافئة تجاه البولنديين في الحاضر؛ رسائل قومية ("الأمة"، "دولة يهودية قوية") وإنسانية عامة ("ديمقراطية" و"نضال ضد العنصرية"). ولكن فعليا، نجد أن بنية الرحلة تؤكد على أهداف معينة على حساب أهداف أخرى

1993,227).

تحدد الأمة اليهودية- الإسرائيلية، عن طريق إقامة نفس المراسم وترديد نفس الكلمات وإنشاد نفس النشيد، حدود المجموعة: أي أولئك الذين يقيمون ذات الطقوس والمراسم سوية. حتى في بولندا، تتوقف الحافلات، وهي في طريقها إلى إقامة مراسم الذكرى في (معسكر) أوشفيتس، على هامش الطريق، عند الساعة التاسعة بالضبط (في الساعة العاشرة صباحا بتوقيت إسرائيل) من أجل الوقوف سوية مع الجمهور في "أرض إسرائيل" ووفقا لما قاله كرتسر "في الآن الواحد يكمن عامل الشراكة السياسية" (kertzer1988).

الرحلة إلى بولندا: الأهداف المعلنة

بدأت وزارة المعارف (التربية التعليم)، في العام ١٩٨٨، بإرسال وفود من أبناء الشبيبة الإسرائيلية لزيارة أنقاض المحرقة في بولندا[٤]. لم يكن التوقيت عفويا. فمنذ العام ١٩٦٧ وحتى أواسط الثمانينيات، لم تكن العلاقات الدبلوماسية المضطربة بين إسرائيل وبولندا، تسمح بتنظيم مثل هذه الزيارات. ولكن ربما أن هذه الزيارات لم تكن لتتم قبل ذلك أيضا، نظرا لأن وعي المحرقة في المجتمع الإسرائيلي لم يكن ناضجا لذلك. فقط في نهاية عملية بطيئة، بدأت من محاكمة آيخمان واستمرت على مراحل لغاية صعود بيغن إلى السلطة، أصبحت الثقافة الإسرائيلية مهيأة للتضامن والتماثل مع الضحايا، بل ولقبول الضحايا الناجين حتى وان لم يقاتلوا كأبطال. وقد ساهم الزمن العمري بدوره أيضا في تغيير النظرة تجاه الناجين. وإذا كان قسم كبير من أولاد الناجين لم يرغبوا في سماع قصص آبائهم، فقد بحث جيل الأحفاد عن رابطة مباشرة بالماضي، بأجدادهم، خلف أسوار الصمت (بار أون ١٩٩٤). الناجون الذين تقدم بهم السن شعروا بدافع لسرد قصصهم قبل موتهم ولاقوا تشجيعا من خلال إصغاء الشبان. وهكذا نشأت أجواء مؤيدة ساعدت في نقل هذه القصص. تميزت هذه الفترة أيضا بتنامي القوى المحلية في المجتمع الإسرائيلي- انقسام وتشرذم الانتماءات الإثنية والدينية- إلى جانب صعود قوى وطاقات عالمية كالسياحة الجماعية والثقافة الشبابية العالمية. هذه السيرورات رافقها أفول مكانة أبطال الثقافة الصابرية (من "صابرا") والطليعي الكيبوتسي، من جهة، ومكانة الجندي المقاتل من جهة أخرى (عقب حرب لبنان ١٩٨٢- والانتفاضة الأولى). وكما صرح عوديد كوهن، مدير قسم الشبيبة في وزارة التعليم، وهو أيضا من أهم منظمي الرحلات إلى بولندا: "(في أعقاب الرحلات إلى بولندا) أضحت دولة إسرائيل مفهومة أكثر كتعبير عن نهضة وعن استقلال وقدرة على الدفاع عن النفس، وهذا يشكل أيضا الدرس الجديد حول المسؤولية في عصر يسوده انحطاط أخلاقي وقيمي" (محاضرة، ٢٢ شباط ١٩٩٤). وقد طرحت الزيارات (إلى بولندا) كإمكانية لخلق وحدة جديدة تجمع بين "الاشكناز - الغربيين والسفارديم - الشرقيين... حتى وإن كانت بينهم تناقضات اجتماعية وطائفية وأيديولوجية.. ففي تريبلينكا ومايدانك وأوشفيتس- بيركناو لم يعد للفوارق أي وجود.. هناك صرنا شعبا واحداً، الشعب الذي ذبح!" (كيرن ١٠٣، ١٩٩٣).

ازداد، منذ العام ١٩٨٨، بشكل مطرد عدد المشاركين في الرحلات في كل سنة ووصل عددهم في السنوات الأخيرة إلى ١٤٠٠٠ مشارك في السنة. وتعتبر وزارة التعليم المنظم الرئيس لهذه الجولات وهي التي تحدد أماكن الزيارات ومواعيدها وأنماطها، وتتولى تأهيل قسم

طلاب اسرائيليون «يحجون» الى اوشفيتس بيركيناو

كبير من طاقم المرشدين المؤهلين أيضا للعمل مع جهات أخرى مثل حركة الكيبوتسات والقرى الزراعية، حركة "بني عكيفا"، ووكلاء السفر التجاريين. وقد توجه منذ بدء هذه الرحلات، أكثر من ١٠٠ ألف طالب وطالبة إلى بولندا وذلك ضمن أطر مدرسية.

وتشمل الأهداف المعلنة لوزارة التعليم التعرف على "الثراء الروحي والثقافي.. وعلى حيوية الحياة اليهودية في بولندا قبل الحرب العالمية" و"الإحساس ومحاولة فهم مغزى وعمق وحجم الخراب والهلاك" و"تلمس ومحاولة فهم الانحطاط الأخلاقي الذي انحدر إليه النازيون" و"الإحساس ومحاولة خلق وإيجاد علاقة الشبان الإسرائيليين بماضيهم الجماعي- اليهودي، وتعميق.. الالتزام الشخصي تجاه استمرارية الحياة اليهودية والوجود السيادي لدولة إسرائيل"، و"فهم وتمثل المفاهيم المرتبطة بتاريخ إسرائيل... والقيم الصهيونية، والعلاقات بين اليهود وغير اليهود والقيم الأخلاقية والإنسانية" (وزارة المعارف، نشرة المدير العام، ١٩٩٠). في العام ١٩٩٤ أضاف وزير التعليم في حينه، أمنون روبنشتاين، بندين يتضمنان الإقرار بـ "الطابع المركب للعلاقات بين اليهود والبولنديين على امتداد التاريخ المشترك للشعبين" وبالحاجة إلى "معرفة مبادئ الأيديولوجيا النازية... واستخلاص العبرة القومية المتمثلة في الحاجة إلى دولة يهودية قوية وذات سيادة، وكذلك العبرة العالمية المتمثلة بضرورة صون وحماية الديمقراطية والنضال ضد كل أشكال العنصرية"[٥]

يصف إعلان النوايا هذا الرحلة كجزء لا يتجزأ من عملية تربوية- تعليمية تشمل أيضا التحضيرات للرحلة وعمليات متابعة بعدها، ويحاول المحافظة على توازن بين الميول المختلفة: تعلم فكري ("على فهم المبادئ") واستخدام الحواس والمشاعر ("الإحساس ومحاولة فهم")؛ ذكرى الضحايا الذين قضوا نحبهم إلى جانب أولئك الذين "قاوموا العدو"؛ الحياة اليهودية إلى جانب الموت في المحرقة؛ الوجود (اليهودي) حاضرا في البلاد؛ كراهية مرتكبي المحرقة ("عمق وحشية النازيين") إلى جانب نظرة متكافئة تجاه البولنديين في الحاضر؛ رسائل قومية ("الأمة"، "دولة يهودية قوية") وإنسانية عامة ("ديمقراطية" و"نضال ضد العنصرية"). ولكن فعليا، نجد أن بنية الرحلة تؤكد على أهداف معينة على حساب أهداف أخرى، ليس بالذات بسبب خطة أو برنامج أيديولوجي خفي لدى المنظمين أو المرشدين أو المدرسين (الذين لا يعتبرون بالضرورة شركاء في

ذات البرنامج الأيديولوجي) وإنما بالأساس جراء سيرورات غير واعية. وكما أشار بروس كبفرر في نقده للباحثين الذين يتحدثون عن الطقوس والمناسبات القومية بمصطلحات التقاليد والأعراف المختلقة (invented tradition)١- إن الحديث عن أعراف مختلقة يجعلنا نعتبرها في الكثير من الأحيان واهنة أكثر. فنحن نبحث عن مصالح وأحابيل ويغيب عنا أنها، سواء القوية منها أو الضعيفة، موجودة في ذات التقاليد البنيوية (Kapferer 1988, 211). ٢- إن التقاليد والأعراف لا تختلق أبداً بالكامل، فهي مملوءة بجوانب الواقع التي يراها المشاركون بمنزلة بديهيات.

والبناء هو "عملية جوهرانية.. تنقي وتصهر نمطا من التجربة بمزاياها الأساسية كما ينظر إليها من ناحية ثقافية... تتكثف فيها أفكار منطقية.. هي جزء لا يتجزأ من منطق الذين يمتلكون الاختيار، على الرغم من أنها خفية عن وعيهم الذاتي" (المصدر السابق، ٢٢١). هذا في حين يقول كرتسر إن "قوة الطقس – العبادة– تسمو على مضمونه الأيديولوجي" (Kertzer 1988,46). ففي بعض الأحيان "يخلق الطقس تضامنا من دون أن تكون هناك أية شراكة في العقيدة" (المصدر السابق ٦٤). ويمكن للطقوس أن تعكس النظام الاجتماعي للذين يمارسونها، ولكن ليس بديهيا أنهم يفعلون ذلك حقا.

الرحلة إلى بولندا كـ "حجيج"

يؤكد بحثي على وجوب فهم الرحلات إلى بولندا ليس كجولة دراسية، وإنما كحجيج في إطار الدين المدني. وفقا لـ فيكتور ترنر، فإن الحاج هو الإنسان الذي يغادر بيته ليقوم برحلة (كثيراً ما ترتبط بمشاق ومخاطر) إلى مكان مقدس موجود في الهامش، يتحول في نظر الشخص ذاته، في تلك الأثناء، إلى مركز (Turner 1973,214). وفي هذا المركز يعيش الحاج تجربة الـ "معا"، تجربة "معا" وجودية "ليس في ظل وجود جموع من الناس جنبا إلى جنب، وإنما بكونهم معاً". الشعور بالوحدة الذي يتكون عقب الاحتكاك مع مواضيع مقدسة لمجتمع الشخص، الحاج، يجعله يشعر بأنه إنسان آخر، مختلف، حين يعود إلى بيته، كما أن المكانة الجديدة التي يتمتع بها الحاج بين معارفه تمنحه شرعية اجتماعية تعزز شعوره بأن التجربة العاطفية التي عاشها في المركز المقدس أحدثت تغييرا لديه (Turner, 1978, 34-35; Turner 1969 & 1973).

في اوشفيتس مايدانك

أعتقد أن هذا الحجيج يأخذ التلاميذ إلى اللامكان، إلى الآخر الشيطاني، الشرير، بغية زيادة وعيهم وإدراكهم للتهديد الوجودي لعالمهم، ومن خلال ذلك إعطاء مغزى جديد لعالمهم البديهي المتمثل بإسرائيل. "في العالم الذي فقد شيئا من سحره وجاذبيته، تتنحى الرؤية الأسطورية جانبا لتحل مكانها رؤية عقلية أكثر، مجردة من "المركز" أو "الآخر" اللذين يحملان مغزى أسطوريا أوليا. في هذا العالم، وإلى جانب المراكز التقليدية للحجيج الديني، تطورت مراكز جديدة للحجيج السياسي والثقافي، والتي ترمز إلى قيم المجتمع، من قبيل "جبل هرتسل" على سبيل المثال. وحين تكثر هذه المراكز يتحول معظمها إلى مواقع جذب سياحي، ويتحول مرتادوها من حجاج إلى سياح"

معسكرات الموت (الإبـادة) هي محور الرحلة. فهي تعمل كرديف، ليس فقط لبولندا بأكملها وإنما لكل الحياة اليهودية في الشتات. للوهلة الأولى لا يمكن التفكير بمراكز إبادة (قتل) صناعية على أنها مراكز مقدسة، وبالزيارة إليها كعملية حجيج. فالمراكز المقدسة هي أماكن لقاء بين السماء والأرض، أماكن لـ "تجربة تعاف من جديد، لتجديد الحيوية، للسمو بالنفس وحمد الله" (Cohen ١٩٩٢، ٥١). في مقابل ذلك، فإن معسكرات الإبادة تنتمي لمجال الآخر المطلق "الـذي يمثل الغريب والجـذاب، المهدد والمغري، وباختصار المثير للإعجاب والدهشة، البدائي، الأولي- المبهم أو المجهول الكامن في متاهات الفوضى التي تلف العالم المتحضر.. الذي يجسد الشر كحيرة واعية وأخلاقية" (المصدر السابق).

من هنا فإن الرحلة إلى بولندا ليست صعوداً إلى الجبل المقدس، وإنما نزولا إلى مجاهل الموت.

أعتقد أن هذا الحجيج يأخذ التلاميذ إلى اللامكان، إلى الآخر الشيطاني، الشرير، بغية زيادة وعيهم وإدراكهم للتهديد الوجودي لعالمهم، ومن خلال ذلك إعطاء مغزى جديد لعالمهم البديهي المتمثل بإسرائيل. "في العالم الذي فقد شيئا من سحره وجاذبيته، تتنحى الرؤية الأسطورية جانبا لتحل مكانها رؤية عقلية أكثر، مجردة من "المركز" أو "الآخر" اللذين يحملان مغزى أسطوريا أوليا. في هذا العالم، وإلى جانب المراكز التقليدية للحجيج الديني، تطورت مراكز جديدة للحجيج السياسي والثقافي، والتي ترمز إلى قيم المجتمع، من قبيل "جبل هرتسل" على سبيل المثال. وحين تكثر هذه المراكز يتحول معظمها إلى مواقع جذب سياحي، ويتحول مرتادوها من حجاج إلى سياح" (المصدر السابق ص٥٢). التجربة العاطفية للقاء مع الموت تقوض النظام الأخلاقي والشعور بالزمن الأفقي. وكما كتب جيمس يانغ فإن "البقايا (في معسكرات الإبادة)... تميل إلى طمس التمييز بين ما هي (ماهيتها) وبين ما تولده أو تطرحه في استحضارها.. فهذه الأماكن- النصب- التذكارية لا ترمز إلى الماضي وحسب، بل تقدم نفسها كبقايا للأحداث ذاتها" (young 1993m120-121). هذا الطمس للزمن يتعاظم حين يروي الناجي قصة حياته في المكان مشيرا إلى البقايا كشاهد موثوق على قصته. التأثير الأولي لهذه التجربة يبدد إحساس التلاميذ بالوجود في الزمن والفراغ. حتى حدود أجسادهم تصبح غير واضحة: إذ أنهم يحشرون في فراغات صغيرة في أوشفيتس، يسيرون في العتمة في جناح الأحذية في مايدانك و "ينفجرون" (حسب تعبيرهم) بالبكاء ويعانق أحدهم الآخر.

في مراكز الإبادة هذه، يظهر التلاميذ كممثلين لإسرائيل، حيث يرتدون بدلات "ترينينع" بألوان الأزرق والأبيض (ألوان علم إسرائيل) يتقلدون رمز الدولة ويرفعون علمها. وينهي الشاهد، الناجي، شهادته هناك بقصة هجرته إلى البلاد، فيما ينتهي البكاء بإنشاد حماسي للنشيد الوطني (الإسرائيلي) وتنتهي الطقوس في مواقع الموت برفع علم إسرائيل عاليا. فالطالب يدخل إلى الآخر الشيطاني في عالم الموت كي يحتله ويسيطر عليه بواسطة رموز الدولة. وهو حين يفعل ذلك، يكتشف أن أوشفيتس ليس موتاً وهلاكا وحسب، وإنما مكان (يتقاطع فيه الزمن والحيز) سيء يمكن التغلب عليه، لكن بثمن جسيم فقط. والانتصار على الآخر عن طريق مظاهر ورموز تمثل الدولة هو الذي يحول معسكرات الإبادة إلى مراكز، إلى مهد ميلاد الدولة. إدراك التلاميذ المتزايد للخطر

الوجودي والشعور بالتغلب على هذا الخطر- بفضل وجود الدولة- يولد لديهم التزاما تجاه قيم قومية وثقافية أساسية.

وهكذا تكتسب إسرائيل، بواسطة اللقاء الطقسي مع مراكز الموت، قيمة جذابة وأخلاقية جديدة. فعودة التلاميذ إلى إسرائيل في نهاية الرحلة تتحول إلى عملية هجرة، وتتحول بلاد الحياة البديهية إلى محج ومركز مقدس للحياة. ويحظى التلاميذ بعد عودتهم بمكانة أو وضعية جديدة ك "شهود للشهود"، تقع عليهم مسؤولية أن يقصوا الرواية وأن "يذكروا ويتذكروا". وهكذا تبنى الرحلة كمراجعة طقسية لعملية البقاء.

بطبيعة الحال فإن نموذج الانتقال "من الكارثة- المحرقة- إلى النهضة والانبعاث" لا يشكل الرسالة الوحيدة التي يحملها كل طالب. كذلك فإن التلاميذ يأتون أيضا كممثلين لأسرهم وكأفراد لهم مجالات اهتمام وخلفيات مختلفة. أفراد الطاقم والمرشدون يأتون أيضا من خلفيات أيديولوجية ومجالات حياة مختلفة. أما الناجون فإنهم لا يخضعون لعملية برمجة أو رقابة من جانب المنظمين، فلكل واحد منهم حكاية خاصة يرويها. غير أن الرحلة تنجح في تأميم هذه القصص ودمجها داخل الرواية القومية الخلاصية. ويتحول الطالب إلى ناج وإلى شاهد منتصر، ليس بفضل سيرته العائلية، وإنما بحكم انتمائه إلى مجموعة مواطني الدولة اليهود.

بنية الرحلة: التحضيرات، التنظيم، اختيار الأماكن والجدول الزمني

يجري بصورة عامة تسجيل المشاركين في الرحلة مسبقا، قبل بضعة أشهر. في أماكن معينة، خاصة في الكيبوتسات، تسافر صفوف دراسية بأكملها إلى بولندا. ولكن في معظم المدارس، يسافر فقط جزء من الصف، ويتولى الأهالي دفع تكلفة الرحلة بمبلغ يتراوح بصورة عامة بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ دولار. وتقدم وزارة التعليم وبعض البلديات عدداً من المنح لمحدودي القدرة، غير أن قسما كبيرا من التلاميذ من أبناء الأسر الفقيرة لا يستطيعون جمع أو توفير المبلغ اللازم للمشاركة في الرحلة. لهذا السبب فإن معظم (التلاميذ) الذين يسافرون إلى بولندا هم إشكنازيون من الطبقة المتوسطة وما فوق. ويسافر العلمانيون وتلاميذ المدارس الدينية- الحكومية ضمن بعثات ووفود منفصلة، هذا في حين لا يشارك أبناء المتدينين الحريديم نهائيا في هذه الرحلات[٦].

وبذلك فإن الرحلة التي من المفروض أن توحد كل يهود إسرائيل في تجربة المصير المشتركة، تعيد في الواقع نسخ التراتبية الاجتماعية والشروخ التي تمزق المجتمع الإسرائيلي. وفيما يستهلك قسم من المدارس وقتا طويلا في التحضير للرحلة، هناك مدارس أخرى تناقش الأمر مرتين أو ثلاث مرات فقط قبل السفر. غاية هذه التحضيرات هي ترتيب الأمور المالية والإدارية واللوجستية؛ بلورة المجموعة؛ تهيئة التلاميذ للصعوبات العاطفية المرتبطة بالرحلة وتزويدهم بإرشادات أمنية تعزز وعيهم وإدراكهم للمخاطر في بولندا. كذلك تشمل هذه العملية (التحضير والتهيئة) تزويد المشاركين بخلفية تاريخية أولية عن المحرقة، وتغرس لديهم حوافز بصرية ومعرفية يمكن ممارستها أثناء الرحلة[٧] في أحيان متقاربة يجري أيضا لقاء مع المستشارة التربوية ومع "خريجي الرحلة" من سنوات سابقة، وذلك كجزء من التحضيرات، حيث يعرض هؤلاء المشاركون السابقون "ألبومات" صور التقطوها أثناء الرحلة، ويتحدثون عن مخاوفهم (قبل السفر) وكذلك عن المصاعب و"المتعة" التي تنطوي عليها الرحلة. كما ينقل هؤلاء إلى التلاميذ الشعور بأنه تقع عليهم مسؤولية مواصلة هذا التقليد المدرسي.

والرحلة ليست فقط "ذروة العملية التربوية- التعليمية" (نشرة المدير العام) بل قلب وصميم هذه العملية. وعلى الرغم من أن التلاميذ يستمعون أثناء الرحلة إلى عدد غير قليل من الشروحات المتصلة بالوقائع، فإن الرحلة تعتبر في جوهرها تجربة حسية وعاطفية. غالبية بنود نشرة المدير العام تستهل بكلمات "للشعور ولمحاولة فهم". والتجربة هي الأساس والأرضية لفهم المحرقة- بقدر ما هي قابلة للفهم.

يجري تنظيم مجموعات وزارة التربية والتعليم على شكل وفود، يتألف كل منها من خمس حافلات مع حوالي ٣٠ طالبا وطالبة من مدرسة واحدة أو مدرستين. ويرافق كل وفد رجال أمن إسرائيليون مسلحون، ومرشدون إسرائيليون وطبيب وممرضة، بالإضافة إلى مرشدين أو ثلاثة مرشدين بولنديين يتولون تنسيق الأمور اللوجستية، وثلاثة "شهود" من الناجين الإسرائيليين المرافقين للمجموعة.

برنامج الرحلة إلى بولندا حافل ومزدحم، والسفريات طويلة ومضنية. الحافلات تسير على الطرق بقوافل من خمس حافلات يرافقها حراس إسرائيليون. ويتعين على الطلبة البقاء دائما معاً، تحت مراقبة الطاقم الإسرائيلي والعيون اليقظة لرجال الأمن. ويحصل الطلبة المشاركون على قمصان خاصة بالوفد بألوان العلم الإسرائيلي، طبع عليها رسم نجمة داود وكلمة ISRAEL بأحرف لاتينية كبيرة.

تشكل هذه الترتيبات الأمنية واللوجستية مثالاً جيداً على الطريقة التي تبني فيها الرحلة معاني وتخلق دوائر مغلقة: التصادم مع لاساميين بولنديين لا يشكل واحداً من أهداف الرحلة. ولكن رحلة منظمة بشكل يكون فيه آلاف الإسرائيليين متواجدين في آن واحد معا في مواقع تذكارية وسياحية (في موعد حول ذكرى يوم المحرقة) يتطلب تدابير أمنية مشددة أكثر. لذلك يطالب رجال الأمن بأن تبقى المجموعة دائما معاً بغية تسهيل عملية المراقبة والحماية، وهو ما يبرز صورة بولندا كبلد معاد.

ويذكر المنظمون التلاميذ بأن عليهم، بوصفهم جزءاً من وفد إسرائيلي رسمي، أن يمثلوا إسرائيل بصورة مشرفة والامتناع من أي سلوك أو تصرف غير لائق. أحد المنظمين حذر المشاركين قائلا: "رجال الأمن هم الذين يخبروننا بما يجب عمله، وليس العكس. فلديهم معلومات لا تتوفر لنا. شيء مهم: علينا أن نصل إلى الأماكن في الوقت المحدد. سيضطر المرشدون إلى دفعكم من ظهوركم. شيء آخر: لا مكان للارتجال. حتى لو لم يبد ذلك لكم صحيحا. لا مناص" (يوسي ليفي، إرشاد للطلاب، ١٧ آذار ١٩٩٣).

تشكل هذه الترتيبات الأمنية واللوجستية مثالاً جيداً على الطريقة التي تبني فيها الرحلة معاني وتخلق دوائر مغلقة: التصادم مع لاساميين بولنديين لا يشكل واحداً من أهداف الرحلة. ولكن رحلة منظمة بشكل يكون فيه آلاف الإسرائيليين متواجدين في آن واحد معا في مواقع تذكارية وسياحية (في موعد حول ذكرى يوم المحرقة) يتطلب تدابير أمنية مشددة أكثر. لذلك يطالب رجال الأمن بأن تبقى المجموعة دائما معاً بغية تسهيل عملية المراقبة والحماية، وهو ما يبرز صورة بولندا كبلد معاد. تشي القمصان التي يرتديها الشبان المشاركون بهويتهم القومية أمام المارين وعابري السبيل، ومن هنا فإن كل حليق رأس (نازي جديد) يستطيع أن يشخص المجموعة من بعيد بأنها إسرائيلية. وحين يبصق مثل هذا الشخص أو يهتف باتجاه المجموعة "هايل – عاش– هتلر"، تجد التلاميذ يقولون "لم يتغير شيء. البولنديون هم نفس النازيين الذين كانوا في ذلك الوقت".

تجعل القيود المفروضة على حرية الحركة وأجواء الخطر المشاركين يشعرون بانعدام الأمن في الشتات، ومن هنا تتراءى لهم الإبادة النهائية كاستمرار طبيعي لذلك. أنه لشيء خطير أن يبقى المرء وحده. فلا وجود لفراغ خال أو زمان حرّ. الأمن الوحيد متوفر في الفراغ الداخلي، في الحافلة والفندق. فقط اليد الطولى للدولة، الممثلة في صورة رجال الأمن، هي القادرة على المحافظة على أمن وسلامة اليهود في العالم "الخارجي".

يدرك الطلاب خلال الرحلة أن قوات الأمن هي الممثل الأعلى للدولة، الذي يستحق وينبغي أن يحظى بولاء وطاعة كل مواطن. وكما يقول دون وليئا هندلمان فإن "التجربة والمعرفة والعاطفة والولاء لدى الطفل تنبع كلها فقط من المجموعة الأولية المحيطة، وهي الأسرة أو العائلة. فخلال سنوات ارتياده لمؤسسات التعليم، من المفروض أن يعاد بناؤه في صورة وماهية المواطن الذي يعطي ولاءه الأول للفكرة المجردة المتمثلة بالدولة القومية" (Shamgar-Handelman and Handelman 1991, 168). هذه العملية تبلغ ذروتها في التجنيد للجيش الإسرائيلي. "في هذا الوقت يسلم (الولد) من قبل أبويه إلى سلطة وخدمة الدولة" (المصدر السابق،

اوشفيتس مايدانك من الخارج

على الرغم من أن الرحلة تشمل زيارات إلى معسكرات الموت وأماكن حياة يهودية سابقا ومواقع سياحية بولندية، فإنه ما من شك في أن أماكن الموت تشكل نقاط الذروة في الرحلة. حتى أماكن الحياة اليهودية، الخالية من أية حياة يهودية في الحاضر، تبدو هي الأخرى مشبعة بأجواء الموت أيضا. في حين توصف المواقع السياحية البولندية، التي يزورها الطلاب، على أنها أماكن ترفيهية "للترويح عن النفس" والتخفيف من حدة اللقاء مع مواقع الموت، أو بمثابة استراحة في الرحلة الحقيقية.

١٦٣). فالمكانة التي يحتلها موضوع الأمن في الرحلة، تهيئ الطالب لتجربة سيمر بها بعد سنة أو سنتين، حين يتجند للخدمة في الجيش الإسرائيلي.

لم تتغير الأماكن المنتقاة لزيارة الطلاب تقريبا منذ أن بدأت هذه الرحلات في العام ١٩٨٨. تستغرق الرحلة الاعتيادية ثمانية أيام وتشمل زيارة أربعة معسكرات أو مراكز إبادة، وعدة مقابر وكنس خاوية، وأنقاض بلدات إضافة إلى غيتو وارسو وعدة أماكن سياحية بولندية. الجدول الزمني المزدحم للرحلة والتشديد على موضوع الأمن، والحضور التظاهري لأعلام الدولة، ورموزها، إضافة إلى عزل المجموعة عن المحيط البولندي العصري، كل ذلك يخلق "فقاعة" بيئية تقسم عالم الرحلة المبرمج إلى مجالين متقاطبين: المجال الداخلي، المتماثل مع إسرائيل، والمجال الخارجي المتماثل مع بولندا في زمن وقوع المحرقة. وتشكل الحافلة ما يشبه سفينة الزمن التي يتنقل الطلاب بواسطتها في فراغ من مكان إلى آخر. أحد الطلاب قدم وصفا رائعاً لهذه الظاهرة:

"بولندا. من ناحيتي فإن كل شيء يبدأ من لحظة الصعود إلى الطائرة. ليس طائرة وإنما هي شيء يشبه عربة الزمان. في هذه العربة سافرنا إلى الماضي.. ٥٢ عاماً إلى الوراء. هناك، في ذاك المكان، بولندا، بدا العالم وكأنه منقسم إلى قسمين. الحاضر والماضي. في النهار، كنا نسافر بواسطة حافلة ركاب بولندية، تسير بسرعة لا تزيد عن ٦٠ كم في الساعة، إلى الماضي، إلى ماضينا، ماضي الشعب اليهودي. ماض يتركز في بولندا، في السهول المترامية التي كانت قد شيدت عليها بيوت فخمة من الآجر الأحمر. كانت توجد داخل هذه البيوت أرائك خشبية ومداخن. قسم من هذه البيوت حولت إلى متاحف عرضت داخلها صور من الماضي، وأحذية وأكوام من العدسات (النظارات) الطبية، أكوام من الأطراف الاصطناعية وتماثيل ومشاهد قاسية أخرى. كل شيء في بولندا يرتبط فجأة بمعان متداعية. في الأجواء يخيم شعور بالتكدر والإحساس بالضيق: هدوء، برد، بطء وانقطاع عن العالم.."

ويمضي الطالب في ما كتب:

"بحلول المساء نغادر عالم الماضي إلى عالم الحاضر. حيث تقلنا الحافلة ذاتها إلى هذا الفندق أو ذاك في بولندا. هناك نجلس ونرتاح بعد المشاهد التي رأيناها في النهار. نتحدث عن الماضي ونفرغ الشحنة المتراكمة ونهيئ أنفسنا ليوم جديد. نحاول استعادة حالة مزاجية تلاشت. هنا، في بولندا، الكل يؤازر الكل.. فكلنا في قارب واحد، في بلاد غريبة" (هـ، كتاب رحلة إلى بولندا، كريات غات ٦٩، ١٩٩٣-٧٠).

على الرغم من أن الرحلة تشمل زيارات إلى معسكرات الموت وأماكن حياة يهودية سابقا ومواقع سياحية بولندية، فإنه ما من شك في أن أماكن الموت تشكل نقاط الذروة في الرحلة. حتى أماكن الحياة اليهودية، الخالية من أية حياة يهودية في الحاضر، تبدو هي الأخرى مشبعة بأجواء الموت أيضا. في حين توصف المواقع السياحية البولندية، التي يزورها الطلاب، على أنها أماكن ترفيهية "للترويح عن النفس" والتخفيف من حدة اللقاء مع مواقع الموت، أو بمثابة استراحة في الرحلة الحقيقية. وحين يزور التلاميذ أماكن الحياة اليهودية أو الأماكن "البولندية" (السياحية) تكون درجة اهتمام المجموعة بأكملها مختلفة، تبعا لمستوى تهيئة ودرجة استعداد التلاميذ، ودافعيتهم الدينية أو الحركية (بمعنى الحركة

بنية الزمان والمكان والتواجد الجماعي وارتداء القمصان الموحدة وإبراز الرموز القومية، كل ذلك يمكن الطلاب من رؤية أنفسهم ك "جيدين" ورؤية الآخر (هذا الدور يلعبه البولندي- غير اليهودي- في أثناء هذه الرحلة) كمصدر للشر واللامبالاة. هذه الأجواء لا تشجع تطوير التفكير الفردي الذي يؤدي إلى طرح وإثارة أسئلة أخلاقية.. فالتلاميذ الذين يتركون المجموعة ليبكوا وحدهم أو ليختلوا مع أنفسهم (حتى في ساعات المساء أثناء وجودهم في الفندق) يعادون بسرعة إلى أحضان المجموعة.

الشبابية- الحزبية- التي ينتمون إليها)، وكفاءات المرشد ومستوى التعب والإرهاق الذي يعانيه المشاركون. في المقابل فإن الزيارات إلى أوشفيتس ومايدانك تشد الطلاب، ولذلك يصف الجميع تقريبا هذين المكانين بأنهما الأكثر أهمية.

تخلق معسكرات الموت أجواء أكثر شمولية من أماكن التمرد مثل غيتو وارسو، الذي تتناثر بقاياه كشظايا صغيرة هنا وهناك، في أرجاء وارسو الحديثة. وتشكل "المشاهد الفظيعة" لمعسكرات الموت، والتي تصاحبها قصص الشاهد في المكان، بؤر جذب للكثيرين من الطلبة وذلك بسبب إمكانية "ملامسة الموت".

تخضع الوتيرة الداخلية للرحلة لمبدأ "إمسك واهرب" (مقابلة مع يوسي ليفي، ٣ تموز ١٩٩٤). "يوم كارثة جسيم" يستبدل بـ "يوم يسير" أكثر، حافل بالزيارات إلى أماكن الماضي اليهودية، وأماكن سياحية بولندية، ومدموج في زمان حر.

يستبدل برنامج الأيام "الثقيلة"، المخصصة لزيارة أماكن الموت في أوشفيتس- بيركناو، مايدانك وتريبلينكا (اليوم الثاني والخامس والسابع من الرحلة) ببرنامج "خفيف" أكثر يشمل زيارة أماكن موت سابقة (يومي السادس والثامن من الرحلة) وأماكن سياحية بولندية (اليوم الثالث) أو وقت حر (اليوم الرابع). أما عطلة السبت فيمضيها المشاركون دائما في "كركوف"، مما يتيح لكل مجموعة الوفد (متدينين وعلمانيين على حد سواء) الاحتفال يوم الجمعة بطقوس استقبال عطلة السبت معا في الكنيس اليهودي (دون وجود جمهور محلي)[٨]. وتكون وتيرة النشاط يوم السبت أبطأ من باقي أيام الرحلة، إذ لا توجد في هذا اليوم سفريات في الحافلات، وتتاح خلاله الفرصة الوحيدة أثناء الرحلة للتسوق والتجول في ميدان المدينة[٩]. في بعض الأحيان ينتهز الطلاب هذه الفرصة أيضا لتناول الوجبات السريعة في مطاعم ماكدونالدز. من هنا فإن حضور الموت في يوم السبت لا يكون ملموسا كثيراً.

خلال أيام الرحلة الثمانية، لا يبقى التلاميذ لوحدهم بتاتا. وهم يتذكرون ويخلدون الأموات كمجموعة وفد تمثل الأمة (اليهودية) والدولة (الإسرائيلية) التي تلعب أيضا دور الوسيط والراعي لتضامنهم مع الضحايا والناجين. الجدران السميكة لـ "الفقاعة البيئية" والتجربة العاطفية المشتركة توحد التلاميذ في شعور الـ "معا" (turner 1973) والمصير المشترك. كذلك فإن التواجد الجماعي للمشاركين، الذين يرتدون قمصان الوفد ويرفعون أعلام إسرائيل، يفهم أيضا في الكثير من الحالات، كاستعراض قوة تجاه البولنديين. وقد ورد في مقال تضمنته نشرة إرشادية للطالب صادرة عن وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية: "الآن أتيحت الإمكانية لـ "الحجيج" إلى وادي القتل... لزيارة (هذا المكان) بل ولاستعراض قوتنا ووجودنا فيه.. بات في مقدورنا الآن أن نتجول (في بولندا) بحرية وأن نذكر أنفسنا ونذكر البولنديين أيضا بالحقبة المظلمة في تاريخهم وتاريخنا، والتي لن يتمكنوا من التنصل منها بعد الآن، وهم يقفون وجها لوجه أمام أبناء الشعب الذي ذبح، لكنه عاد ونهض مجدداً. نحن نقوم بواجبنا تجاه أبناء شعبنا الذين قضوا نحبهم في بولندا، ولا بد للبولنديين من أن يواجهوا مجدداً ماضيهم ودورهم في مأساة الشعب اليهودي" (كيرن ١٠٣، ١٩٩٣).

بنية الزمان والمكان والتواجد الجماعي وارتداء القمصان الموحدة وإبراز الرموز القومية، كل ذلك يمكن الطلاب من رؤية أنفسهم ك "جيدين" ورؤية الآخر (هذا الدور يلعبه البولندي- غير اليهودي-

في أثناء هذه الرحلة) كمصدر للشر واللامبالاة. هذه الأجواء لا تشجع تطوير التفكير الفردي الذي يؤدي إلى طرح وإثارة أسئلة أخلاقية.. فالتلاميذ الذين يتركون المجموعة ليبكوا وحدهم أو ليختلوا مع أنفسهم (حتى في ساعات المساء أثناء وجودهم في الفندق) يعادون بسرعة إلى أحضان المجموعة. بعض التلاميذ يطرحون في الواقع، خلال الأحاديث الجماعية، تساؤلات تتعلق بمشاعرهم الخاصة، لكن هذه الأحاديث تبدأ بصورة عامة في ساعات متأخرة من الليل، وبالتالي فإن الوقت لا يتيح إلا بصعوبة التعبير عن الصدمة التي تعرضوا لها أثناء زيارتهم لمعسكرات الإبادة والموت. وفي مثل هذه الساعات يكون التلاميذ على وشك النوم أو أن المجموعات تكون قد وزعت من قبل المرشدين أو إدارة الفندق، عقب شكاوى يقدمها نزلاء آخرون بسبب الضجيج.

الشاهد الناجي كوسيط في "تجربة" المحرقة

يرافق كل مجموعة ناج واحد، على الأقل، من معسكرات الإبادة. والشاهد ليس معلما، وإنما هو، حسب وصف دون هندلمان "نموذج رمزي": "النموذج الرمزي هو إنسان يطرح نفسه من خلال مواظبة ذاتية قوية جداً، كشخص يؤثر على سياقات النظام الاجتماعي (...) النموذج الرمزي هو تجسيد حي... جسد يتحرك ويقوم بأعمال ونشاطات، كائن يجسد.. ويعكس رؤيته الخاصة الشمولية، التي تشكل نقطة انطلاقه" (Handelman 1994، ١٠-١١). ويقدم الشاهد كبطل قبل أن يباشر في سرد روايته. ولا ينظر لشهادته كوظيفة، وإنما هي جزء لا يتجزأ من منظره وهيئته الخارجية. هيئة الشاهد- وجه مملوء بالتجاعيد، كثيرا ما يكون ظهره قد احدودب وانحنى تحت وطأة ثقل وحمولة السنين، إضافة إلى ما تركه كل ذلك من أثر على لهجته ونبرة صوته حين يتكلم- كل ذلك يميزه كشخص "أتى من هناك"، من عالم المحرقة. وكتجسيد للموتى، فإن حضوره وتواجده، خاصة في الأماكن التي عاش فيها تجاربه الشخصية، يشكلان شهادة تعتبر أحيانا، بالنسبة للتلاميذ، أكثر أهمية حتى من فحوى قصة حياته[١٠]. فحضوره وشهادته يمنحان قوة حياة لخبايا الذاكرة (lieux de memoire)[١١]. إنهما يشكلان نوعاً من الكشف الذي يتيح للتلاميذ الإحساس بأنهم كانوا هناك، وأنهم سمعوا حقيقة ما جرى على لسان أبطال القصة. وقد عبر عن ذلك أحد الطلاب بعد زيارته لمعسكرات الإبادة، قائلا: "في بيركناو، رأينا الأشياء أثناء تجولنا في المكان حقيقية تماما... حتى الآن، قالوا لنا ستشاهدون هناك أسواراً، نصبا تذكارية، مراسم، أنشودة.. فجأة، وحين تأتي، ترى أمامك بالضبط صحة وحقيقة كل ذلك.. يأتي شخص ما ويروي لك بالضبط ما الذي فعله وأين كان ومن الذي تحدث إليه... سرنا معه، وأشار بيده إلى المكان عن قرب، وقال هنا حدث ذلك... وقد أثر ذلك علي كثيراً...".

مهمة "الشاهد" ليست سرد الوقائع وإنما سرد قصته الخاصة، بحيث يتيح ذلك التضامن والتعاطف الوجداني مع جميع الضحايا. قصة شهادته تنتهي بصورة عامة مع هجرته إلى البلاد (إسرائيل)، وهو ما يوصف في الكثير من الأحيان على أنه ذروة الصراع البطولي من أجل البقاء. ويذكر الشاهد التلاميذ بواجبهم في أن يرووا لأصدقائهم وزملائهم، بعد عودتهم إلى البلاد "ما رأوه وسمعوه". وهو بذلك يمنحهم وضعية جديدة كورثة له ولضحايا المحرقة كافة. وكثيرا ما يقوم "الشهود" بتمجيد التلاميذ "الإسرائيليين الأصحاء في الروح والجسد" وأنهم يرون فيهم رداً على المحرقة، منحوه (أي الشاهد) بتواجدهم في أماكن الموت والإبادة، قوة وانتصاراً. وكما قال أحد الناجين لمجموعة الطلاب أثناء مراسم أقيمت في بيركناو: "في ختام المراسم والزيارة أود قول بضع كلمات: وأنتم في هذا المكان اعلموا أنكم الرد الملائم والصحيح على النازية واللاسامية. عليكم أيتها الشابات والشبان أن تنجبوا أبناء كثيرين حتى يتمكن شعبنا من أن يحيا إلى الأبد" (١٧ أيلول ١٩٩٥).

تركيبة طاقم الرحلة- "شاهد/ ة"، مرشد، طالب- تقدم عائلة بديلة للعائلة البيولوجية تعمل كقناة لنقل الذاكرة من جيل إلى جيل. ويتواجد الشاهد والتلاميذ في قلب نفس هيكل الطقوس المصمم بشكل يرى فيه الناجي، بالضرورة تقريبا، الحضور والتواجد الجماعي للشبيبة الإسرائيليين، الذين يلبسون ويرفعون رموز وأعلام الدولة، كرد على معاناته وكضمانة لتذكره وتخليد ذكرى أعزائه وأقاربه.

وبذلك يتحول الطلاب إلى "شهود على الشهود"، وإلى ورثة شرعيين لتراث الضحايا، ليس بحكم أصلهم العائلي وإنما بكونهم مواطني الدولة. فبواسطة الرحلات إلى بولندا، تأخذ المجموعة الوهمية- المتخيلة- للأمة صورة العائلة.

طقوس (مراسم) التخليد في بولندا

تجري خلال الرحلة التي تستغرق ثمانية أيام، بصورة عامة ما بين ثلاثة وثمانية مراسم بمشاركة جميع الوفود، وخاصة في معسكرات الإبادة والنصب التذكاري لغيتو وارسو. وتخلق هذه

مهمة "الشاهد" ليست سرد الوقائع وإنما سرد قصته الخاصة، بحيث يتيح ذلك التضامن والتعاطف الوجداني مع جميع الضحايا. قصة شهادته تنتهي بصورة عامة مع هجرته إلى البلاد (إسرائيل)، وهو ما يوصف في الكثير من الأحيان على أنه ذروة الصراع البطولي من أجل البقاء. ويذكر الشاهد التلاميذ بواجبهم في أن يرووا لأصدقائهم وزملائهم، بعد عودتهم إلى البلاد "ما رأوه وسمعوه". وهو بذلك يمنحهم وضعية جديدة كورثة له ولضحايا المحرقة كافة. وكثيرا ما يقوم "الشهود" بتمجيد التلاميذ "الإسرائيليين الأصحاء في الروح والجسد" وأنهم يرون فيهم رداً على المحرقة، منحوه (أي الشاهد) بتواجدهم في أماكن الموت والإبادة، قوة وانتصاراً.

المراسم- الطقوس- وحدة ومشاركة وجدانية وشعوراً جماعيا وذلك بواسطة تكرار الرموز والنصوص والأغاني والقصائد المعروفة. إن التواجد الجماعي للطلاب كممثلين لإسرائيل على أراضي بولندا، ينطوي على تظاهرة قوة تخلد البقاء. وتتيح المراسم للمشاركين تكرار ما سبق وأن رأوه كمشاهدين سلبيين، وإجمال الأحداث و"الدروس/ العبر" عن طريق التخليد الفعال (أو بلغة المشاركين "إغلاق الدائرة"). كذلك فإنها تشكل "حوافز" طقوسية تؤدي إلى الاسترخاء وتنفيس التوتر العاطفي الذي تراكم خلال الرحلة (ش، ساغي، محاضرة في دورة لمرشدي بولندا، ٢٥ حزيران ١٩٩٢).

بنية المراسم لجميع الوفود ثابتة ومشابهة للنمط المهيمن على مراسم إحياء ذكرى "يوم الكارثة" التي تقام في جميع المدارس الإسرائيلية[١٢]: تلاوة قداس الترحم، نذر النذور، قراءة رسالة مردخاي أنيليفيتش، مقطع من شهادة، أغنية لـ (المغني الإسرائيلي يهودا) بوليكر (أو "دموع الملائكة") وفي الختام النشيد الوطني الإسرائيلي ("هتكفا").

إقامة المراسم في مكان وقوع "المحرقة"، وبعد مشاهدة مناظر مروعة، وبمشاركة فاعلة لـ "الشاهد"، كل ذلك يضاعف التأثير العاطفي، بحيث يتحول هنا نشيد "هتكفا"، الذي ينشده الطلاب في المدارس بفتور وعدم اكتراث، إلى تعبير جياش عن أمل وصيحة انتصار. وكما لاحظ أحد المدرسين المرافقين لإحدى الرحلات إلى بولندا: "في بيركناو.. فجأة، ولأول مرة، سمعت نشيد "هتكفا" بقوة ووتائر خارجة من أعماق الروح والقلب. حينما أكون في المدرسة، وتقام المراسم، أسمع همهمات وأرى تململا أثناء نشيد هتكفا.. أما هنا فأشعر كيف يوقظ ذلك ويلهب حماسة الجميع، وكيف يوحدنا ذلك ويحولنا إلى كتلة واحدة، إلى شعب واحد" (ي. هـ، ١٩ أيلول، ١٩٩٥).

تقام إلى جانب المراسم التي تجري بمشاركة جميع الوفود، أحيانا طقوس ومراسم على مستوى مجموعة صغيرة أو على مستوى أفراد، تعبر عن رسائل شخصية أو ترمز إلى مصيبة خاصة. أكثر هذه الطقوس رواجا، جمع تذكارات (مثل قطع من جدار شائك، رماد، أحذية من مايدانك) وإشعال الشموع في المحارق أو بجانب أكوام الرماد. إحدى الطالبات كتبت في مفكرتها: "الشيء الأول الذي قمت به، أشعلت شمعة للذكرى قرب النصب التذكاري.. في منطقة ضخمة حولنا كان هناك عشرة آلاف حجر يرمز كل حجر منها إلى طائفة أبيدت في تريبلينكا.. عندئذٍ اتخذت لنفسي حجرا وقررت أن ذلك هو Skupianova، بلدة زيدا... ثم قمت بالتقاط صورة لحجري".

غير أن المؤسسة المنظمة (للرحلات المدرسية) تحتكر لنفسها جميع مظاهر وأشكال التعبير الفردية تقريبا، وتقوم بربطها وتجنيدها ضمن رواية قومية عليا بواسطة طرق وأساليب "تغليف" مختلفة: فإذا كان ثمة نص يعبر عن صوت متمرد ضد الله أو ضد إعطاء مغزى معين للمحرقة، فإن مثل هذا الصوت سيسمع بين "نذر" شلونسكي وبين نشيد "هتكفا". في منتصف الزيارة لمعسكر أوشفيتس تقام مراسم "لكل شخص اسم" في الجناح اليهودي المعتم، والذي يتلو خلاله الطلاب أسماء عائلاتهم. ولكن الزيارة تنتهي بمراسم، تشارك فيها جميع الوفود، فوق أطلال الموت وتحت راية (علم) إسرائيل المرفوعة عاليا. وتختتم الرحلة كلها بمراسم تقام في نصب البطولة التذكاري (نصب ربابورت) في غيتو وارسو[١٣]، حيث يرفع التلاميذ

غيتو وارسو: لماذا التبهيت؟

أعلام الدولة عاليا قبل أن يصعدوا إلى الطائرات التي تعيدهم إلى إسرائيل. وبذلك يتحول "نصب البطولة" إلى بوابة النصر المؤدية إلى "أرض إسرائيل".

التأميم القومي (الإسرائيلي) لرسائل المحرقة شائع في كل أشكال هندسة وتصميم الزمان والمكان في بولندا، حتى في الحالات التي لا يتم فيها بشكل مقصود من جانب المدرسين والمرشدين والمنظمين.

وبغية التعبير عن رسالة مختلفة، غير قومية، تبرز الحاجة عندئذ لكسر الأنماط القائمة. رئيسة أحد الوفود كتبت تقول: "في مجموعتي كان ثمة تلميذة تنفجر بالبكاء في كل مرة يتلون فيها أثناء المراسم العامة، عبارة (الله الغزير الرحمة) وكانت تصرخ قائلة: ما من إله غزير الرحمة، لا يمكن قول الله غزير الرحمة في مكان ذبح فيه ملايين الأطفال.. وكادت أن تخرب المراسم لكل الطائرة. لم أكن هنا أستطيع التوصل إلى حل وسط، ولم أكن أرغب بذلك.. حينئذٍ شرحت لها أن المراسم تتضمن قواعد معينة، ومثلما أنك تطلبين الصبر والتسامح من الآخرين، فإنني أطلب منك التحلي بالصبر والتسامح. إذا كان ثمة مقطع معين لا يعجبك، فتنحي جانبا" (ص. هـ ٢٥ حزيران ١٩٩٢).

مثال آخر على هذا النوع من "الاعتراض والتمرد" ظهر في "مراسم" أقامها طلاب إحدى المدارس قرب حفر القتل في مايدانك، مباشرة بعد انتهاء المراسم الجماعية، لذكرى طالبين من أبناء صفهم، مات أحدهما في تدافع أثناء حفل غنائي وقتل الثاني على يد صديقه في حادث إطلاق نار. فقد جلس هؤلاء الطلاب في حلقة دائرية على الأرض وراحوا يغنون بصوت صاخب أغنيتين، إحداهما كتب كلماتها أحد الطلاب لذكرى زميله المتوفى. لم ينشدوا "هتكفا". هذه "المراسم"، التي أقامها هؤلاء الطلاب لذكرى زميليهم، لاقت معارضة واستياء من جانب أفراد الطاقم، وقال نائب رئيس الوفد "لقد أصروا على إقامة هذه المراسم، مع أنني قلت لهم إنه لا يجوز خلط حزن بحزن". وعبر رؤساء الوفد عن معارضتهم إحياء ذكرى موت غير مقدس، وقع أثناء حفل غنائي أو جراء حادث، في موقع الموت المقدس الذي أقيم لذكرى ضحايا المحرقة الذين قتلوا لكونهم يهوداً. فأجاب الطلاب "نحن نشعر أنهما كانا يجب أن يكونا معنا". وبحسب قول أحد المدرسين فإنهم "لا يبكون على الأموات فقط، بل يبكون على كل شيء".

من أرشيف غيتو وارسو

من الواضح أن تعابير الحزن وصيحات الانتصار التي تصدر عن الطلاب طوال أيام الرحلة تعبر أيضا عن احتياجات وهموم واضطراب، لكنها تعبر كذلك عن شعور بالتعالي الذاتي حتى فيما يتعلق بأمور غير مرتبطة البتة بالمحرقة والدولة. بيد أن المراسم الجماعية تعطي شرعية لتنفيس وإخراج هذه المشاعر وتغليف التعابير الشخصية بهالة من عبادة القومية المنقذة. في أحيان قليلة فقط يخترق التعبير الشخصي هذا الغلاف. وتلقى هذه التعابير احتجاجا أو قمعاً من جانب المنظمين.

رسائل تتعرض للكبت والتهميش

تصوغ الرحلات إلى بولندا عالم طقوس مقفلا يهمش أو يتغاضى عن رسائل أخرى، يصعب سماع صوتها في إطار نمط الذاكرة المهيمن المتمثل بالانتقال "من الكارثة- المحرقة- إلى النهضة". وسوف أبين الآن كيف تتحول أيضا بعض أساليب وبرامج الرحلة، إلى وسيلة كبت وتهميش لرسائل بديلة، حتى في ظل عدم معرفة وإدراك المنظمين أنفسهم للدور الذي تؤديه مثل هذه الرسائل:

١. يكرس للموت في المحرقة وقت أطول ومراسم أكثر من الوقت والمراسم المكرسة للحياة اليهودية السابقة في بولندا. كذلك فإن جزءا من "أماكن الحياة اليهودية" يشي ويوحي بالموت علنا وصراحة. الكنس الخالية من اليهود تعتبر في نظر التلاميذ بمثابة أماكن موت بوتيرة منخفضة، إلا إذا نجحت المجموعة في أن تلقي في الفراغ صورة للحياة اليهودية في الحاضر، كما تفعل مجموعات دينية (فيلدمان ٢٠٠٠، ٣٨٥-٣٩٢). فالموت هنا يحجب الحياة، كما أنه لا تجري أية محاولة للالتقاء مع يهود أحياء بحيث يساعدون في تخفيف حدة صورة بولندا كمقبرة يهودية كبيرة. وكما كتب دان ميرون "من كل نواحي الحياة اليهودية في أوروبا لم يتبق لنا سوى الموت؛ تاريخ كامل أختزل وانطوى داخل حدث واحد ووحيد- الكارثة (المحرقة النازية)" (ميرون ٢٠٦، ١٩٩٤).

٢. لا لقاء مع يهود الشتات. صحيح أن الجالية اليهودية في بولندا صغيرة جداً، إلا أنه لا يبذل أي جهد لإحضار أحد أفراد هذه الجالية للتحدث عن حياته في الحاضر. يهود الشتات الوحيدون الذين يحتك التلاميذ معهم بشكل ملموس هم الشهود الناجون من المحرقة. صحيح أن الشاهد يروي أيضا

من الواضح أن تعابير الحزن وصيحات الانتصار التي تصدر عن الطلاب طوال أيام الرحلة تعبر أيضا عن احتياجات وهموم واضطراب، لكنها تعبر كذلك عن شعور بالتعالي الذاتي حتى فيما يتعلق بأمور غير مرتبطة البتة بالمحرقة والدولة. بيد أن المراسم الجماعية تعطي شرعية لتنفيس وإخراج هذه المشاعر وتغليف التعابير الشخصية بهالة من عبادة القومية المنقذة. في أحيان قليلة فقط يخترق التعبير الشخصي هذا الغلاف. وتلقى هذه التعابير احتجاجا أو قمعاً من جانب المنظمين.

قصة حياته، لكن هذه القصة تسرد داخل الفقاعة الإسرائيلية المسدودة في الحافلة. وفي الكثير من الحالات ينام الأولاد أثناء ذلك. فالشهادة "الرسمية" المهمة تقدم أثناء زيارة معسكر الإبادة. والقصة التي تروى هناك هي قصة الموت والبقاء والهجرة إلى أرض إسرائيل. وبحسب جاك كوغيلماس فإن بولندا تغدو، أثناء زيارات اليهود الأميركيين إليها، خشبة مسرح يمثل اليهود عليها دراما هويتهم الذاتية (1993 Kugelmass). نفس الشيء بالنسبة للحالة الإسرائيلية، فكي تتم الدراما كما يجب، لا بد للمسرح أن يكون خاليا. بهذه الطريقة فقط يمكن للمشارك في الرحلة أن يقتنع بأنه، كإسرائيلي، هو الوريث الوحيد للماضي اليهودي. لذلك، عندما صادفت إحدى الطالبات (الإسرائيليات) متسولا يهوديا في كنيس في وارسو، كان السؤال الوحيد الذي وجهته إليه هو: "لماذا لا تأتي لتسكن في البلاد (إسرائيل)؟!". بعبارة أخرى، فإن الرحلة إلى المهجر (الشتات) تتم من أجل رفضه. والمحرقة هي نوع من الموت الطبيعي للمهجر. في النص القومي المهيمن للرحلة، يوجد للمهجر حق في الوجود كمتحف ومقبرة وكمادة خام للصهيونية.

٣. لا لقاءات مهمة مع بولنديين. الجدول الزمني المزدحم للرحلة والتدابير الأمنية المشددة التي تحيط بها يمنعان الطلاب من إجراء لقاءات ولو عابرة مع بولنديين. كذلك فإن المرشدين البولنديين المرافقين للمجموعة يلتزمون الصمت أو يتم إسكاتهم من جانب المرشدين الإسرائيليين. ويصادف التلاميذ أثناء مكوثهم في بولندا تعابير حقيقية أو متخيلة من اللاسامية، والتي تنعش وتدعم آراءهم المسبقة التي تعتبر بولندا بموجبها بلداً خطرا ومعاديا للسامية. وبما أن معظم التلاميذ لا يمتلكون خلفية تاريخية، فإنهم ينظرون إلى تعابير اللاسامية الراهنة كاستمرار للنزعة اللاسامية الإجرامية في زمن المحرقة. أحيانا يستبدلون النازيين بالبولنديين في الحاضر، على الرغم من محاولات قسم من المرشدين، دحض هذا الرأي. وتساهم الفقاعة المغلقة للرحلة في منع الطلاب من فهم "العلاقات المركبة بين اليهود والبولنديين على مرّ الأجيال". وحين يجرون لقاءات قصيرة مع صفوف مدارس بولندية كجزء من برنامج الرحلة (فقط للمجموعات غير المتدينة) فإن هذه اللقاءات لا تكون معدة مسبقا وتعتبر جزءا من "الترويح" عن المشاركين، أما المحرقة ومضامين الرحلة فلا يتم التطرق لها خلال هذه اللقاءات. في أمسية الامتنان والتقدير لـ "محبي الشعب اليهودي" التي تقام خلال الرحلة، لا يظهر المنقذ البولندي على المنصة إلا في وقت متأخر من الأمسية، كما أنه يظهر وسط فراغ داخلي "إسرائيلي"، كشخص مجهول يحظى بالتقدير بفضل دولة إسرائيل. وخلافا للناجين الذين يروون قصصهم في معسكرات الإبادة، لا يعطى "محب الشعب اليهودي" هيبة أو صلاحية المكان، مثلا عن طريق زيارة المكان الذي قام بإيواء يهود فيه أثناء المحرقة. يقول الفيلسوف عمانوئيل ليفيناس إن العلاقات الأخلاقية الحقيقية لا تنبع من قبول منظومة مبادئ مجردة، وإنما من لقاءات محلية مع الوجه العاري والحساس للآخر، والتي تدفعنا إلى إجراء حوار معه وتولد لدينا شعورا

لا لقاءات مهمة مع بولنديين. الجدول الزمني المزدحم للرحلة والتدابير الأمنية المشددة التي تحيط بها يمنعان الطلاب من إجراء لقاءات ولو عابرة مع بولنديين. كذلك فإن المرشدين البولنديين المرافقين للمجموعة يلتزمون الصمت أو يتم إسكاتهم من جانب المرشدين الإسرائيليين. ويصادف التلاميذ أثناء مكوثهم في بولندا تعابير حقيقية أو متخيلة من اللاسامية، والتي تنعش وتدعم آراءهم المسبقة التي تعتبر بولندا بموجبها بلداً خطرا ومعاديا للسامية. وبما أن معظم التلاميذ لا يمتلكون خلفية تاريخية، فإنهم ينظرون إلى تعابير اللاسامية الراهنة كاستمرار للنزعة اللاسامية الإجرامية في زمن المحرقة.

بالمسؤولية تجاهه (Levinas 1982، 79-98).

لا يتضمن برنامج الرحلة لقاء مهما مع آخر، بحيث يشكل مثل هذا اللقاء موضوعا للتماثل والتعاطف، وبالتالي تضيع الفرصة لفهم الأحداث بواسطة الوعي التاريخي للآخر، والذي يمكن أن يؤدي إلى مزيد من الوعي والإدراك الأخلاقي وإلى قبول أكثر للآخر في الحياة الخاصة للطلاب. الشاهد الوحيد للمحرقة الذي يلتقي الطلاب به أثناء الرحلة هو الناجي الإسرائيلي، والذي يعتبرونه مثلهم كسكان إسرائيل. وبذلك فإن تعزيز التعاطف مع المعاناة والذي يُعاني يُسخّرُ من أجل تعزيز الهوية القومية. "دروس" المحرقة والوجود اليهودي في المنفى، والتي كان في إمكانها (عن طريق التماثل مع الأقلية المقموعة ومع الضحية، أو مع المنقذ) دفع مسائل حماية الديمقراطية، وإساءة استخدام القوة، وشيطنة الآخر وقمع الأقليات (نشرة مدير عام ١٩٩٤)، لا تحظى بمتحدث موثوق يمثلها، وبالتالي تتحول إلى دروس هامشية.

٤. الجدول الزمني المزدحم وتدابير الأمن المشددة ومحدودية الوقت المتاح للأحاديث واللقاءات، والإرهاق الناجم عن السفريات الطويلة في الحافلات والانتظار الطويل للمجموعات الأخرى في الوفد والطابع المتوقع للمراسم.. كل ذلك يدعم ويؤكد إغلاق الدوائر باستخلاص العبر وإنهاء الحديث.

في إحدى القصائد، التي تكثر وزارة التربية والتعليم من اقتباسها في نشرات الرحلة، كتبت إحدى الطالبات: "إذا سألتني لماذا نسافر إلى هناك، سأقول لك، سافر إلى هناك وستعرف" (غوردي داخل كيرن ١٩٩٣).

وكتب أهارون أبلفيلد: "ظاهريا عاد كل شيء إلى مسار البلاغة والفصاحة اللغوية.. بل وأضيف إلى ذلك نوع من الرضا والإشباع: فها نحن نعيش رغم كل شيء، والمؤامرة لم تتكلل بالنجاح. فالخراب، وليس سواه، أدى إلى الانبعاث والنهضة.. من الذي لا يشعر أن هذه اللغة.. ما هي بمجملها إلا غشاء خارجيا يهدف إلى طمس وتمويه الرعب؟ فالبون بينها وبين ما حدث، بون شاسع وهوة سحيقة". (أبلفيلد ٢١، ١٩٧٩).

إن عدم القدرة على تقديم تفسير ملائم للمحرقة هو الذي يولد عدم الارتياح الذي يشجع بدوره أسئلة أخلاقية ووجودية. وإنني أشك في ما إذا كانت هذه المسائل، التي تدعو إلى المواجهة والتخبط الأخلاقي على المستوى الشخصي، يمكن أن تطرح في ظل أجواء لا تبقي للفرد إلا متسعا ووقتا ضيقين جداً.

رسائل الرحلة والروايات الأخرى للمحرقة

تبني الرحلة (إلى بولندا) رواية تطرح المحرقة كتعبير عن عجز وضعف الشعب اليهودي في الشتات، في مواجهة العداء المستحكم من جانب اللاساميين في العالم. وتطرح القوة الإسرائيلية كنقيض وكرد على المحرقة. في السنوات الأخيرة جرى التعبير مرارا في الخطاب العام الثقافي عن رفض ومعارضة هذا النمط من ذاكرة المحرقة. وقد أكثرت الأدبيات الإسرائيلية من التعبير عن "أصوات تآمرية" تدعو إلى "عدم إهمال صوت الفرد" في مواجهة "التأثر العام الذي يتجلى في تقديس موت الضحية" (Ezrachi, 1985-6,276).

من الممكن أن نفسر، بشكل جزئي، سيطرة الرواية الصهيونية الخلاصية على الرحلات (إلى بولندا) بموقع هذه الرواية في الخريطة الاجتماعية. فالرحلات تنظم أو تقترح، في المحصلة، من جانب وزارة التربية والتعليم، التي ترى أن من واجبها تربية التلاميذ على القيم القومية (بات- إيل وبن عاموس ١٩٩٩). كذلك فإن برامج التعليم التي أكدت وأبرزت المعضلات الأخلاقية الناجمة عن المحرقة (Carmon ١٩٨٨) أو قارنت بين المحرقة وبين حالات إبادة جماعية أخرى (كما فعل يائير أورون في برنامج تعليمي وضعه عن الأرمن) تعرضت للشطب أو الاستبعاد نهائيا. وتميل المراسم المدرسية في معظمها إلى استنساخ الأنماط الرسمية للذاكرة والتي تسعى إلى الإجماع.

كما كتبت أبحاث أكدت لامبالاة "اليشوف" (مجتمع ومؤسسات الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل إعلان قيام إسرائيل) إزاء معاناة الضحايا أثناء المحرقة وبعدها مباشرة (زرطال ١٩٩٦) وأكدت كذلك عدم استعداد الإسرائيليين للإصغاء لقصص الناجين (سيغف ١٩٩١، بار أون ١٩٩٥). وطرحت أبحاث أخرى ضرورة أن تستخلص من دراسة المحرقة العبر والدروس التي تؤكد على إبداء الحساسية تجاه بشاعة الظلم وسهولة "السقوط" في المساومات الأخلاقية والتعاون مع الشر والجريمة (Carmon 1988). هناك من يقول إن تأميم أو احتكار المحرقة من جانب الدولة هو ظلم يحرم المواطنين من الحزن على الأموات بشكل صادق وحقيقي (تسوكرمان ١٩٩٣؛ تسوكرمان ٢٠٠١، ٧٣-١٣٧).

على الرغم من، أو بسبب انتقاد الاحتكار الصهيوني للمحرقة، جنبا إلى جنب مع انتقاد السلوك الأخلاقي غير النزيه للدولة ومؤسساتها وأذرعها[١٤]، فقد تعزز حضور المحرقة في مراسم الذكرى القومية. فمنذ العام ١٩٩٧، يتم استذكار ضحايا المحرقة كجزء من مراسم إحياء "يوم الذكرى" الرسمي لقتلى الجيش الإسرائيلي.

من الممكن أن نفسر، بشكل جزئي، سيطرة الرواية الصهيونية الخلاصية على الرحلات (إلى بولندا) بموقع هذه الرواية في الخريطة الاجتماعية. فالرحلات تنظم أو تقترح، في المحصلة، من جانب وزارة التربية والتعليم، التي ترى أن من واجبها تربية التلاميذ على القيم القومية (بات- إيل وبن عاموس ١٩٩٩). كذلك فإن برامج التعليم التي أكدت وأبرزت المعضلات الأخلاقية الناجمة عن المحرقة (Carmon 1988) أو قارنت بين المحرقة وبين حالات إبادة جماعية أخرى (كما فعل يائير أورون في برنامج تعليمي وضعه عن الأرمن) تعرضت للشطب أو الاستبعاد نهائيا. وتميل المراسم المدرسية في معظمها إلى استنساخ الأنماط الرسمية للذاكرة والتي تسعى إلى الإجماع. ثمة من يقولون إن رحلة منظمة إلى معسكرات الموت لا يمكن لها إلا أن تخدم اتجاهات التعصب القومي اليمينية ولذلك يجدر إلغاؤها (شولاميت ألوني بكونها وزيرة التربية والتعليم). التلاميذ أو المربون الذين لا يقبلون هذه الرسائل يمكنهم الامتناع من المشاركة والبقاء في بيوتهم[١٥]. هناك تلاميذ كثيرون يذهبون إلى الرحلات بدوافع غير مرتبطة بالمحرقة والدولة، كالبحث عن المتعة والترفية بصحبة الأصدقاء[١٦] والسفر إلى الخارج والمشاهدة. ولكن عند وصولهم إلى بولندا في إطار الرحلة المدرسية، فإنهم ينكشفون أيضا لعملية التثقيف والمضمون الأيديولوجي للرحلة. وبمعزل عن الآراء السياسية للطلاب فإن الرحلات إلى بولندا تمثل عامل تشكيل قوي في بلورة الذاكرة الجماعية للمحرقة وللعلاقة بين المحرقة والدولة. لذلك من المهم فهمها ليس فقط كمراسم وطقوس تعكس آراء سائدة في المجتمع، وإنما كنماذج مهمة تصوغ وعيا وسلوكا مستقبليا[١٧].

تلخيص

تشكل الرحلات إلى بولندا حجيجاً للدين المدني، وهي مبنية كطقوس عبادة لعملية البقاء. التلاميذ يتركون بلاد الحياة البديهية كي يسافروا إلى بولندا، بلاد المحرقة. هؤلاء الطلاب وفي أعقاب احتكاكهم مع عالم الموت وتظاهرة رموز الأمة في بولندا، يتعلمون كيفية تقدير وإعلاء شأن دولة إسرائيل كمصدر للحياة، كهدف للهجرة وكحجيج.

ونظرا لأن قسما كبيرا من الفرضيات القابعة في أساس أو صلب الرحلة لا تعكس مضامين مدركة للمنظمين والمرشدين، فإنه لا يجوز النظر إلى الرحلات كعملية غسيل دماغ موجهة، لا سيما وأن الطلاب لا يوافقون جميعهم على رسائل الرحلة. وعلى سبيل المثال فقد كتب أحدهم: "هناك من قالوا إنهم شعروا بالانتصار؟! أنا لم أشعر بذلك. أنا قلت ليأخذوني، ليأخذوا العلم والدولة وكل شيء إذا ما استطاعوا فقط أن يعيدوا قوة الحياة لستة ملايين شخص. ليعيدوا هؤلاء الناس، ليعيشوا حياتهم الرتيبة، وليشاهدوا التلفزيون ويموتوا في سن ٧٢ دون أن يفعلوا شيئا. أنا مستعد، أنا مستعد لأن ذلك هو ما كان يريده هؤلاء الناس" (جـ، ١٩ أيلول ١٩٩٥). ولكن مما لا شك فيه أن الفراغ والزمان والمراسم التي يتضمنها برنامج الرحلة مصممة بطريقة تهدف إلى إنعاش النموذج السائد للانتقال من الخراب إلى الخلاص، وفق مفهومه في الرواية الصهيونية العليا.

عند بلوغ الرحلة ذروتها قرب المحارق في بيركناو، تقام مراسم على مستوى الوفود "فوق آبار الموت وتحت راية إسرائيل المرفوعة عاليا" (عوديد كوهن، وزارة التربية والتعليم ١٩٨٩). في مرحلة حيوية من تطورهم الشخصي، حيث يكونون عرضة لتأثير أفكار رومانسية، وقبل فترة وجيزة من تجندهم في الجيش الإسرائيلي، يقوم أبناء الشبيبة اليهود الإسرائيليون برحلة حجيج تعلن عنهم كممثلين للدولة وكورثة وحيدين للماضي اليهودي الذي اندثر في المنفى ("فوق آبار الموت") وكتجسيد حي للناجين المنتصرين ("تحت راية إسرائيل المرفوعة عاليا"). ويتحول هؤلاء الشبان – الطلاب– عن طريق رواية ما شاهدوه وعرفوه في بولندا للآخرين، إلى "شهود للشهود"، إلى أناس راشدين يقع عليهم واجب أخلاقي بنقل شهادة الموتى وشهادة "الشهود" الذين بلغوا مرحلة الشيخوخة. بهذه الطريقة يتمكنون من فهم خدمتهم المستقبلية للدولة كتنفيذ لوصية القتلى كافة. وكما كتبت إحدى الطالبات في نهاية الرحلة: "كان لدي شعور بالافتخار والنصر، انتصار الشعب اليهودي على العدو النازي الذي أراد إبادتي. على الرغم من كل الألم والحزن على مقتل ستة ملايين يهودي، وهو أمر لن ينسى ولن يتغير أبداً، فإن الهدف الرئيس للنازيين لم يتحقق. ونحن أبناء الشبيبة، الذين زرنا هذه الأماكن، إنما نمثل الدليل القاطع على ذلك. إننا كيهود أتينا من إسرائيل نشهد على أن شعب إسرائيل ما زال حيا"! (أ. مدرسة روغوزين ٧٦، ١٩٩٣).

الهوامش

١ هذا المقال يستند إلى بحث أجريته بين الأعوام ١٩٩٢ و١٩٩٧، وشمل مرافقة سبع مجموعات شبابية أو مدرسين إلى بولندا، وقد تولت وزارة التربية والتعليم تنظيم هذه المجموعات.

٢ للإطلاع على أبحاث ومقالات أكثر شمولية في استعراض ذاكرة المحرقة في المجتمع الإسرائيلي، انظر: سيغف ١٩٩١؛ OFER 1996,836-922؛ شابيرا ٨٦، ١٩٩٧-١٠٣، وكذلك فيلدمان ٢٠٠٠، ٤٥-١٠٠.

٣ تشير يبلونكا إلى خمسة ردود فعل رئيسية على قصص الناجين ١- شك: عدم القدرة على التصديق ٢- تنكر: عدم القدرة نفسيا على مواجهة أهوال وفظائع المحرقة ٣- الشفقة تجاه اليتامى والأرامل. ٤- انتقاد سلوك الناجين ("ساروا كالنعاج إلى الذبح") وعدم هجرتهم إلى البلاد في الوقت المناسب ٥- : الشعور بالذنب لعدم القيام بجهد أكبر لإنقاذ اليهود في أوروبا (تسمرت ويبلونكا ١٩٩٧، ٤٩).

٤ يمكن التساؤل: لماذا اختار منظمو الرحلات السفر إلى بولندا بالذات وليس إلى ألمانيا؟ يبدو لي أن هذا القرار ينبع من عدة أسباب ١/ بغية تعزيز التماثل مع الأمة كان من المهم التركيز على وضع الضحايا وليس على تعلم أيديولوجيا المنظمين والمنفذين ٢/ وجود معسكرات الإبادة الكبيرة التي ترمز إلى المحرقة (أوشفيتش- بيركناو، تريبلينكا، مايدانك) على الأراضي البولندية، كذلك "فإن "الديكور" في بولندا ملائم أقل من اللازم لتصاوير المحرقة التي تشاهد في الصور وأفلام السينما-٣/ من المحتمل أيضا أن اتفاق التعويضات والجهود السياسية والدعائية من جانب ألمانيا لطرح نفسها كـ "ألمانيا أخرى"، قد تكللت بالنجاح في حين أن بولندا، التي كانت "في الجانب الآخر" خلال الحرب الباردة، ظلت في نظر الإسرائيليين "بولندا نفسها". وتظهر استطلاعات حديثة أن نظرة أبناء الشبيبة الإسرائيليين لألمانيا تتحسن باستمرار. ٤/ من

الممكن أيضا أن تجربة مواليد ألمانيا وبولندا الذين هاجروا إلى إسرائيل تؤثر بدورها على التصورات والانطباعات المختلفة.

٥ للإطلاع على نقاش مثير حول موضوع الرحلات، ومن ضمن ذلك عرض نشرة المدير العام ومقالة قصيرة لأمنون روبنشتاين تشرح التغييرات التي حاول إدخالها إلى البرنامج أنظر: " من أجل الذاكرة-٧" (تشرين الأول ١٩٩٥).

٦ يسافر المتدينون (الحريديم) إلى بولندا وأوروبا الشرقية من أجل زيارة "قبور الصديقين" ولكن ليس ضمن أطر مدرسية، وعليه فإن هذه الرحلات مختلفة في الغاية والجوهر.

٧ إحدى المرشدات ذكرت "لم تكن هناك حاجة لتصور أو تخيل تريبلينكا، ذلك لأنهم – الطلاب – تذكروا النموذج في صورة محاربي الغيتوات، وعندما عرضت أمامهم الخريطة (في الموقع) شاهدوا ما كان يوجد هناك". أنظر: حزان ١٩٩٩، والذي تفحص برامج التهيئة لمجموعات مختلفة مبينا وجود اهتمامات متباينة تبعا للتوجه الأيديولوجي- الاجتماعي لكل مجموعة.

٨ على الرغم من أنه تقام صلاة استقبال السبت بشكل منظم لدى الجالية اليهودية في الكنيس المحلي في كركوف، إلا أن المجموعات (الوفود) الإسرائيلية تؤدي هذه الصلاة بشكل منفصل في كنيس آخر (الكنيس الكبير "طمبل"). هذا الترتيب- عدا عن الاعتبارات اللوجستية – يمكن المرشدين ورؤساء الوفد من القول إن الطلاب الإسرائيليين يحيون الكنيس المهجور في بولندا عن طريق وجودهم وصلاتهم فيه.

٩ المنطق القابع خلف المحافظة الانتقائية على تعاليم وفروض الدين اليهودي في الرحلات إلى بولندا و"السلوك الرسمي" للوفود الإسرائيلية في الخارج لم يعد قائما في نظري. فالمجموعات الدينية التي تنظمها وزارة التعليم تقوم بالتسوق بعد ظهر يوم الجمعة. هذا في حين تحرص منظمة "ياد بنينا" التي تشرف على تنظيم رحلات حركة "بني عكيفا" (تابعة للحزب القومي الديني- المفدال) إلى بولندا، على عدم ترك وقت حر للطلاب نهائيا لأجل التسوق، وذلك بدعوى أن الأمر يخل بقدسية وطهارة الرحلة.

١٠ في مقابلة أجريتها مع مجموعة مشاركين في الرحلة بعد ٥ سنوات، تحدث جميع المشاركين عن الشهادة في أوشفيتس وعن الظروف الجسدية والمشاعر العاطفية التي رافقت تقديم الشهادة (برد، ظلمة، خوف) في حين لم يتطرق أحد منهم إلى مضمونها.

١١ بيير نورا (Nora 1984) كتب أن كثرة أماكن الذكرى تنبع من تلاشي واندثار بيئات ذاكرة عضوية. ومن هذه الناحية فإن الرحلات إلى بولندا تشكل منطقة ذاكرة كلاسيكية. إن الزمان وحده سيبين إذا ما كانت هذه الرحلات ستتطور بصورة مشابهة لمناطق الذاكرة التي بحثها نورا، بمعنى إذا ما كانت قوتها وتأثيرها سيتلاشيان بمرور الزمان أم أن أحداثا في الحاضر ستنعش أنماط تفكير تعزيز ذاكرة المحرقة، بحيث تستمر شعبية الرحلات (إلى بولندا) في الازدياد حتى بعد موت الشهود.

١٢ حول مراسم "يوم الكارثة" و"يوم الذكرى" في المدارس الإسرائيلية أنظر: بات إيل وبن عاموس ١٩٩٩. مراسم بولندا وصفت بشكل مفصل جداً لدى فيلدمان ٢٠٠٠، ٢٩٦-٣١٤.

١٣ حول نصب البطولة في غيتو وراسو والمراسم التي تجري أمامه أنظر: Young 184-155، وكذلك مقال مولي بروغ (١٤٨، ١٩٩٧-١٧٣).

١٤ انظر مجموعة المقالات ومقتطفات الصحف لدى مخمان ١٩٩٧.

١٥ هذا على الرغم من أن بحثي لم يتطرق إلى معارضة الاحتكار الصهيوني للمحرقة كعامل دفع التلاميذ إلى عدم السفر إلى بولندا.

١٦ حتى أعمال "العربدة والزعرنة" تحظى أحيانا بتفسير قومي خالص من جانب المرشدين و"الشهود" وتلاقي مثل هذه الأعمال والممارسات، خاصة بعد زيارة "الأماكن الصعبة"، تسامحا إذ ينظر لها كدلائل وعلامات للانتصار اليهودي على الموت أو كانتقام من البولنديين.

١٧ للتمييز بين المراسم أو الطقوس كعاكس (mirrors) وبين المراسم والطقوس كعامل مشكل للسلوك (models)، أنظر الكتاب المهم لـ هندلمان (handelman 1995) ومناقشة رسالتي للدكتوراه (فيلدمان ٢٠٠٠).

ببليوغرافيا بالعبرية

أورون، يائير، ١٩٩٣. "هوية يهودية إسرائيلية"، إصدار "سفريات بوعاليم" تل أبيب.

- ألموغ، عوز، ١٩٩٧. "الصابرا- صورة"، "سفريات بوعاليم" تل أبيب
- أبلفيلد، أهارون، ١٩٧٩. "تجارب مقالات بضمير المتكلم"، القدس: المكتبة الصهيونية.
- مدرسة "روغوزين" ١٩٩٣. وفد شبابي إلى بولندا. كريات غات.
- بن عاموس، أفنير وبات أيل، إيلانا، "مراسم، تربية وتاريخ: يوم الكارثة ويوم الذكرى في المدارس الإسرائيلية" – تربية وتاريخ: سياقات ثقافية وسياسية، تحرير رفقة بلدحاي وعمانوئيل إيتكس- مركز شزار، القدس ص ٤٥٧-٤٧٩.
- بار أون، دان، ١٩٩٤. "بين الخوف والملل"، دار محاربي الغيتوات/ الكيبوتس الموحد، تل أبيب.

- بروغ، مولي، ١٩٩٧ . محاصرون بسور الذاكرة: نصب غيتو وارسو كرمز لـ "الكارثة والبطولة" في بولندا وإسرائيل. ألبايم ١٤: ١٤٨-١٧٣ .
- فيستوم، إليعازار وملكينسون، روت، ١٩٩٣ . "الثكل والتخليد: الوجه المزدوج للأسطورة القومية. الفقدان والثكل في المجتمع الإسرائيلي" ، تحرير روت ملكينسون، شمشون روبين وإليعازار فيستوم، وزارة الدفاع، القدس، ص ٢٣١-٢٥٦ .
- زرطال، عديت، ١٩٩٦ . "الهجرة اليهودية السرية إلى أرض إسرائيل" - عام عوفيد، تل أبيب.
- حزان، حاييم، ١٩٩٩ . "الكارثة ووجوه الكارثة (المحرقة): نقاش مقارن في تهيئة طلاب مدارس مختلفة للرحلات إلى بولندا" . بانيم-١١، ٦٦-٧٥.
- يبلونكا، حنه، ١٩٩٤ . "أخوة غرباء: الناجون من الكارثة في دولة إسرائيل ١٩٤٨-١٩٥٢" . ياد بن تسفي وجامعة "بن غوريون" ، القدس.
- وزارة التربية والثقافة والرياضة- قسم الشبيبة ١٩٩٣ .
- كسبي، يوءاف، ١٩٩٢ . "جيش الدفاع الإسرائيلي في أوشفيتس: ٥٠ سنة متأخر جداً" . مجلة "بمحنيه" - ١٥ نيسان ١٩٩٢ : ٢٠-٢٥ .
- إسرائيل- وزارة التربية والثقافة ١٩٨٩ . دليل للمرشد.
- ميرون، دان، ١٩٩٤ . "مدرسة للتراب" . ألبايم ١٠ : ١٩٦-٢٤٤ .
- مخمان، دان (محرر) ١٩٩٧ . "ما بعد الصهيونية والمحرقة" الجدل العام في إسرائيل حول موضوع ما بعد الصهيونية ١٩٩٣-١٩٩٦، ومكانة مسألة المحرقة- معهد دراسة المحرقة على اسم أرنولد وليونا بينكر، جامعة "بار إيلان" ، رمات غان.
- فيلدمان، جاكي، ٢٠٠٠ . "رحلات أبناء الشبيبة الإسرائيليين إلى بولندا بحثا عن المحرقة" . رسالة للقب الدكتوراه، الجامعة العبرية، القدس.
- تسوكرمان، موشيه، ١٩٩٣ . "المحرقة في الغرفة المحكمة الإغلاق" . إصدار المؤلف، تل أبيب.
- تسوكرمان، موشيه، ٢٠٠١ . الصناعة الإسرائيلية، أساطير وأيديولوجيات في مجتمع متنازع. بطيش، تل أبيب.
- تسمرت، تسفي، يبلونكا، حنه، ١٩٩٧ . العقد الأول: ١٩٤٨-١٩٥٨ . ياد بن تسفي، القدس.
- كيرن، نيلي (محررة) ١٩٩٣ . جولة شبابية في بولندا، دولة إسرائيل، وزارة التربية والثقافة والرياضة . مديرية المجتمع والشباب، القدس.
- سيغف، توم، ١٩٩١ . "المليون السابع: الإسرائيليون والمحرقة" . كيتر، القدس.
- شابيرا، أنيتا، ١٩٩٧ . "يهود جدد، يهود قدامى" . سفريات بوعاليم، تل أبيب.

بالإنكليزية

Carmon، Arye، 1988. "Teaching the Holocaust in Israel: The Dilemma as a Disturbing Reality and Pedagogical Concept"، in Methodology in the Academic Teaching of the Holocaust، ed. Zev Garber، New York: University Press of America، pp. 75-91.

Cohen، Erik، 1992. "Pilgrimage and Tourism: Convergence and Divergence"، in Sacred Journeys: The Anthropology of Pilgrimage، ed. Alan Morinis، Westport، Connecticut and London: Greenwood Press، pp. 47-61.

Connerton، Paul، 1992. How Societies Remember. Cambridge: Cambridge University Press.

Ezrahi، Sidra Dekoven، 1985-1986. "Revisioning the Past: The Changing Legacy of the Holocaust in Hebrew Literature"، Salmagundi 68-69، (Fall /Winter): 245-270.

Handelman، Don. 1990. Models and Mirrors. Cambridge: Cambridge University Press.

--------. 1994. "SRB Insights: Symbolic Type"، The Semiotic Review of Books 5.1: 10-11.

Handelman، Don، Shamgar-Handelman، Lea، 1997. "The Presence of Absence: the Memorialism of National Death in Israel"، in Grasping Land: Space and Place in Contemporary Israeli Discourse and Experience، eds. Eyal Ben-Ari and Yoram Bilu، Albany: SUNY Press، pp. 85-128

Kapferer، Bruce، 1988. Legends of People، Myths of

the Holocaust. ed. David S. Wyman، Baltimore and London: Johns Hopkins Press، pp. 836–922.

Shamgar–Handelman، Lea، Handelman، Don، 1991. "Celebrations of Bureaucracy: Birthday Parties in Israeli Kindergartens"، Ethnology 30، (4): 293–312.

Turner، Victor، 1969. The Ritual Process. Chicago: Aldine.

--------. 1973. "The Center Out There: the Pilgrim's Goal"، in History of Religion 12: 191– 230.

Turner، Victor and Edith Turner، 1978. Image and Pilgrimage in Christian Culture. Oxford: Oxford University Press.

Yerushalmi، Yosef Hayim، 1982. Zakhor: Jewish History and Jewish Memory. Seattle: University of Washington Press.

Young، James، 1993. The Texture of Memory: Holocaust Memorials and Meaning. New Haven: Yale University Press.

Zerubavel، Yael. 1995. Recovered Roots: Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition. Chicago and London: University of Chicago Press.

State. Washington: Smithsonian Institute Press.

Kertzer، David، 1988. Ritual Politics and Power. New Haven: Yale.

Kugelmass، Jack، 1993. "The Rites of the Tribe: The Meaning of Poland for American Jewish Tourists"، in Going Home: YIVO Annual 21، Evanston، Illinois: Northwestern University Press، pp. 395–453.

Levinas، Emmanuel، 1982. Ethique et Infini: Dialogues avec Philipe Nemo. Paris: Artheme Fayard.

Liebman، Charles S.، Don–Yehiya، Eliezer، 1983. Civil Religion in Israel. Berkeley: University of California at Berkeley Press.

Lozowick، Yaakov، 1997، "Jewish Memory and the Shoah"، in Never again! The Holocaust's Challenge for Educators، eds. Helmut Schreier and Matthias Heyl، Hamburg: Kraemer، pp. 109–116.

Mosse، George، 1990، Fallen Soldiers: Reshaping the Memory of the World Wars. Oxford and New York: Oxford University Press.

Nora، Pierre، 1984. Le Lieux de Memoire. Tome 1. Paris : Gallimard.

Ofer، Dalia. 1996. "Israel"، in The World Reacts to